

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل ط1: 9 / 911500

رقم التسجيل ط2: 115074007

الإعجاز البياني في القرآن الكريم (سورة الرحمن - أنموذجا -)

مقدمة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: لسانيات عامة

إعداد الطلبة:

1. رزقي عائشة

2. شرقي أمال

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
01	ربيعة حمادي	أ . م	المسيلة	رئيسا
02	وهيبة بوشليق	أ . م	المسيلة	مشرفا ومقررا
03	نوال منديل	أ . م	المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2021/2020

كلمة شكر

عملاً بقوله تعالى: ﴿ ولئن شكرتم لأزيدنكم ﴾

فإننا نشكر أولاً الله سبحانه وتعالى على كل النعم التي أنعم بها علينا فهي لا تحصى ولا تعد.

ثم الشكر لنبينا محمد الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، أفصح من نطق بلغة الضاد وهادي الأمة وكاشف الغمة.

وعملاً بقوله عليه السلام: ﴿ من لا يشكر الناس لا يشكر الله ﴾

فإننا نتقدم بشكرنا الخالص للدكتورة المشرفة: بوشليق وهيبة

وكذلك اللجنة التي ستكون معها.

ونقدم شكرنا إلى كل من كانت له يد العون من بعيد أو قريب من أجل إتمام

مجتنا وإخراجه على هذه الهيئة، وقد تنوعت اختصاصاتهم من أساتذة وأئمة

وغيرهم كثير وكثير.

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من قال فيهما عز وجلّ وعلا: ﴿ولا تقل لها أف ولا تنهرها وقل لها قولا كريما
واخفض لها جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾
والدي الكريمين رحمكما الله وغفر لكما.

إلى زوجي الصابر الذي مدّ لي يد العون وكان لي سندا ومعينا .
إلى بناتي الغاليات : سندس ، استبرق ، تسنيم ، تاسعديت .
إلى أهلي وأحبائي في كل مكان .

إلى كل من جمعتني بهم تلك المنحة القدسيّة والإشراقة الربانيّة : الأخوة الإسلاميّة
إلى كل علمني حرقا فصرت له عبدا ، إلى كل من مدّ لي يد العون في تعليم لغة الضاد .
إلى طلبة العلم والعاكفين على التعليم في المدارس والمساجد والزوايا .
إلى كل من أعرفهم ولا يتشعّح المقام لذكرهم جميعا .

إلى كل من سعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي ، اليهم جميعا أهدي بذرة وثمره هذا الجهد
المواضع.

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من قال فيهما الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

إلى من لا مثيل له في الوجود رمز العطاء والحنان إلى أعز ما أملك في هذه الدنيا: أبي العزيز أدامه الله لي.

إلى منبع الحنان ذات القلب المرفف والصدر الحنون: أمي الغالية.

إلى من عشت معه أيام طفولتي: سليمان شرقي

إلى شموع العائلة: رشا وسيف الدين.

إلى صديقاتي وأخص بالذكر: كلبية وسعاد

وهذا وأسأل الله تعالى ولكافة المسلمين التوفيق للعلم النافع والعمل الصالح واحمد الله رب

العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه التابعين.

مقالة

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والحمد لله الذي أودع في كتابه أسرار الإعجاز وجعله علما على معالم الهدى ورسالة خالدة على مرّ الزمان، تحدى به الناس على اختلاف ملكاتهم وتعدّد قدراتهم لتضل آياته المعجزة وهداه المحكم، ونصلي ونسلم على أشرف خلق الإله سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله الذي أوتي جوامع الكلم، فكان أفصح العرب لهجة ولسانا وأوضحهم بيانا وعلى أله الأطهار وصحبه الأبرار والأخيار.

الأسلوب القرآني، ذاك البناء المتميّز بالجلال والكمال، ذاك الكتاب الذي يتسم بالاتساق والانسجام، فلا يوجد نص يضاهيه في ذلك، ولا وجود لخصوصياته وخاصة خاصية البيان، لذلك كان عنوان بحثنا المتواضع الإعجاز البياني في القرآن، فمنّ دواعي دراستنا لهذا الموضوع، ذلك الجانب البياني المعجز في القرآن الكريم، فقد أردنا معرفة مكوناته وأسراه.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في دراستنا الإعجاز البياني في القرآن عموما والبيان خصوصا هو اختلاف الدارسين في تناولهم لهذا الموضوع فمنهم من تناول البيان عموما وأغلبهم كانوا قبل مجيء السكاكي، ومنهم من تناول البيان على أنّه جزء ونوع من أنواع البلاغة. وأردنا نحن في عملنا هذا العودة إلى البلاغة القديمة ومن ثم إحياء التراث وتناول موضوع البيان كما كان معروفا قبل جعل السكاكي له نوعا وفرعا من فروع البلاغة. وقد كان اختيارنا في الجانب التطبيقي لعروس القرآن وهي سورة الرحمن وقد صدق العلماء في تسميتهم لها والدارس لها يحس إحساسا خاصا ولا يستطيع مفارقتها لأنّها تترك في النفس آثار قوية .

أمّا الإشكالية التي أردنا طرحها فهي : ما معنى الإعجاز البياني في القرآن الكريم؟ وماهي أنواع الإعجاز ؟ وماهي أقسام البيان؟

ومن أهداف بحثنا أننا أردنا التعرف على سورة الرحمن وما فيها من بيان وإعجاز وكذلك التدبر في القرآن وحبنا له ونفوسنا التواقّة إليه.

ومن أهداف بحثنا أيضا أننا أردنا التعرف على أسلوب النظم القرآني والتصوير الفني في القرآن العظيم.

ومنهجنا الذي اخترناه كان المنهج الوصفي التحليلي المناسب لطبيعة الموضوع .

وقد وجدنا دراسات مستفيضة في هذا المجال، فكثيره الذين تناولوا موضوع الإعجاز والبيان في القرآن الكريم وطبعا قد استفدنا منهم ونهلنا ما نحتاجه ومن بين الذين اعتمدنا عليهم في دراستنا: ابن منظور في شرحه اللغوي للمصطلحات وكذلك الفيروز ابادي والراغب الأصفهاني هذا في المعاجم ومن بين المفسرين حاولنا الاطلاع على عدد كبير من كتب التفسير من بينها: الضلال لسيد قطب والتفسير القرآني لفاضل السامرائي والإعجاز البياني لعائشة عبد الرحمن وغيرها من كتب التفسير الأخرى والتي سيأتي ذكرها من قائمة المصادر والمراجع ومن كتب اللغويين والبلاغيين الكثير منها، الكشف للزمخشري والتصوير الفني لسيد قطب والبيان والتبيين للجاحظ وغيرها كثير وكثير.

وخطة بحثنا كانت مقدمة وفصيلين، فصل نظري فيه مبحثين أو شقين، الأول هو الإعجاز (تعريفه اللغوي والاصطلاحي، نبذة تاريخية عنه، أنواعه وحقيقته..) والثاني كان بعنوان البيان وتطرقنا فيه إلى (مفهوم البيان لغة واصطلاحاً، مدخل إلى تاريخ البيان وجهود المتقدين والمتأخرين حول البيان، أنواع البيان...). ولأحظنا تداخلا بين أنواع ووسائل البيان فحاولنا جاهدين استخلاص ما يخدم بحثنا وقد تطرقنا إلى أدوات البيان من : تشابه لفظي، تقديم وتأخير وذكر وحذف وتصوير فني وفصل ووصل وكذلك التكرار والذي كانت له وقفة خاصة في بحثنا.

أمّا الجانب التطبيقي فقد حاولنا فيه إسقاط تلك الأمور التي وجدناه من أدوات البيان على عروس القرآن (سورة الرحمن) وهذا بعدما عرفنا بالسورة الكريمة ومناسبتها وعلاقتها بالسور التي قبلها و بعدها ودرسناها من ناحية كونها مكية أو مدنية وسبب التسمية وفضلها وغيرها.

أما الخاتمة فقد وصلنا فيها إلى النتائج المستخلصة من بحثنا وبعض التوصيات للعمل بها مستقبلا وجعلنا ملحقا فيه سورة الرحمن وتفسير لها وذكر ما جاء من آيات قرآنية في بحثنا على سبيل الإحصاء.

وقد حاولنا جاهدين أن تكون لنا لمستنا الخاصة في البحث فدمجنا بين الإعجاز والبيان، فالسابقون أغلبهم جعلوا للإعجاز بحث خاص وللبيان بحث خاص ومن هنا أردنا أن يكون هذا التميز لخدمة الباحث مستقبلا .

وفي الأخير نشكر المولى عز وجل الذي وفقنا إلى هذا العمل المتواضع , ونسأله أن يتجاوز عن أخطائنا وتعاملنا مع كتابه المقدس.

وننتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة المشرفة :د-وهيبه بوشليق, والتي لم تبخل علينا بإرشاداتها وتوجيهاتها, ونحيي فيها صبرها وتحملها لكل أسئلتنا التي كنا نوجهها لها من حين لآخر.

كما ننتقدم بالشكر الجزيل إلى مجموعة الأئمة الذين ساعدونا على إتمام هذا البحث خاصة وأنه بحث في مجال القرآن , فلم ييخلوا علينا وأعانونا ببعض المصادر والمراجع.

ونحن لا ندعي الكمال في دراستنا فالكمال لله سبحانه وتعالى ولكننا حاولنا تقديم الأحسن, ونعرف أن جهدنا فيه تقصير, فما كان صوابا فبتوفيق من الله وما كان عكس ذلك فمن الشيطان ومن أنفسنا.

الجليل النظار

مدخل:

تظّل مقومات البلاغة العربية هي الأسس والمفاتيح الأصيلة لقراءة وفهم القرآن، فالتوسل باللغة والبيان القويم الصافي هو الجسر الوطيد الذي ينبغي أن تمر عليه لفهم محصلات كتابنا الكريم¹.

فالبلاغة هي فنّ التوصيل والإبلاغ والتي استمدت قوتها المعيارية من ثقافة المشافهة التي سبقت ابداعا وتلقيا، وبالخصوص تلك الصور البيانية التي تعدّ معطى جماليا، مبنوثة في كلام العرب، وفي القرآن الكريم بدرجة فاقت سواها، وضمن هذا المنظور، ظلت البلاغة التداول عند البيانيين، والمفسرين والمتكلمين وغيرهم ممنّ عنوا بقضية الإعجاز، وفي هذا الإطار نجد العديد من الباحثين الذين أقاموا صرحا في ربط علاقة بين علوم البلاغة وحقائق الإعجاز².

وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ التقسيم الموجود اليوم للبلاغة وعلومها الثلاث وهي: المعاني والبيان والبدیع لم تكن تسمى بذلك في عصر النضج البلاغي أيام عبد القاهر الجرجاني، وإنّما صارت هكذا حينما جاء السكاكي ومن ألف بعده في البلاغة.

أمّا نحن فقد ارتأينا البحث في البلاغة القديمة والتي كان فيها البيان شاملا وغير مقسم بهذا التقسيم الحالي.

إنّ القرآن الكريم معجز في بيانه، وقد تحدى العرب والعجم والجن أن يأتوا بمثله وبعشر سور وبسورة واحدة تحديا صريحا، والآيات الدالة على ذلك تمثلت في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة البقرة، الآية (23).

¹ عشراتي سليمان، النورسي في رحاب القرآن سوزار للنشر والتوزيع، مصر، 1999، ص325.

² نفسه.

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة يونس، الآية (38).

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة هود، الآية (13).

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ سورة الإسراء، الآية (88).

وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة القصص، الآية (49).

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ سورة الطور، الآية (34-33).

>...الخلق كلهم قد عجزوا عن الإتيان بمثله جميعا، من الأقصر سورة القرآن كله <¹.

والواضح من كلام المفسرين، أنَّ القرآن قد تحدى العرب بيانيا من جهة فصاحته وبلاغته
فآيات التحدي التي رأيناها كانت قد استقرت أصحاب البيان في زمن نزولها وتحدثهم بأن
يأتوا بسور تشاكل بها جماليات الخطاب القرآني، فإنَّ >التحدي الذي رماهم بالقرآن كان
منصرفا إلى النظم ، كما كان منصرفا إلى المعنى، ولكن الذي أصعق العرب خصوصا هو
هذا النسج الطافح، وهذا البيان العاتي، فلم يسع عقلائهم على المكابرة والمناوأة إلاَّ أنَّ يعترفوا
على مضاضة ومرارة بأنَّ هذا القرآن ليس شعرا ولا نثرا ، وإنَّ هو إلاَّ وحي يوحى.²

وقد امتدح الرافعي أسلوب القرآن لما قال: (فلما ورد عليهم أسلوب القرآن وأووا ألفاظهم
بأعيانها متساوقة فيما ألفوه من طرق الخطاب وألوان المنطق، ليس في ذلك إعنات ولا

¹ حسن نصار، إعجاز القرآن، مكتبة مصر، القاهرة، ط1، 1999، ص 65 بتصرف.

² بو لعشار مرسللي، بحث لنيل شهادة الماجستير، الإعجاز البياني في الطراز 2006/2007م، جامعة وهران.

معاياة غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه، ووجود تركيبة ، ونسق حروفه، في كلماتها،
وكلماته في جملها ما أذلهم عن أنفسهم ، من هيبة رائعة وروعة مخوفة حتى أحسّوا بضعف
الفطرة القوية وتخلف الملكة المستحكمة¹.

¹ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص131.

الفصل الأول

الإعجاز البياني في القرآن

أولاً/ الإعجاز القرآني:

1. نبذة تاريخية عن الإعجاز:

لقد اهتم الدارسون القدماء والمحدثون بقضية الإعجاز في القرآن، فقاموا بدراسته والغوص فيه لمعرفة سر هذا الإعجاز، فذهب البعض إلى أنّ الإعجاز يكمن في نظمه وبلاغته، وذهب البعض إلى أنّ الإعجاز يظهر في معانيه وإخباره عن الأمور الغيبية، وذهب البعض الآخر إلى أنّ الإعجاز يكمن في نظم القرآن ومعانيه معاً، ومعظم الدراسات الأدبية انطلقت من القرآن، فكان الأدباء يقتبسونه ويحاولون النسج على منواله، فهو الحجر الأساس الذي وجه الأدب العربي الوجهة الصحيحة، بحيث كان له الفضل في نشأة الكثير من العلوم وتطورها، فالقرآن معجز بكل ما يحمله هذا اللفظ من معنى، فهو معجز بأسلوبه ونظمه وألفاظه وبيانه وفي تشريعه وبكل ما جاء فيه، فدراسة الإعجاز لا تقوم إلا على فهم البلاغة والمعرفة بالفصاحة، ولما كانت البلاغة هيا المسلك لفهم الإعجاز القرآني حظيت بعناية المؤلفين والباحثين في سر الإعجاز، فنجد جميع المؤلفات التي وضعت لدراسة الإعجاز تتناول الكثير من الآراء البلاغية القيمة التي ساهمت في إثراء الدرس البلاغي ورقبه .

ومن أقدم الكتب التي ألفت عن القرآن الكريم تلك التي تتحدث عن معاني القرآن ، ومن أوائلها كتابان إبتان أحدهما (مجاز القرآن) لأبي عبيدة(ت825م) والثاني (معاني القرآن) للفراء(ت822م)، وفي هذين الكتابين إشارات ولمحات لم تذكر فيها كلمة إعجاز¹.

وسنحاول تتبع تطور هذه الكلمة عبر العصور:

لقد كان أول استعمال لمصطلح الإعجاز في القرن الثالث الهجري، على يد علي بن ربن الطبري (ت247هـ) في كتابه (اية النبي صلى الله عليه وسلم) وإبراهيم بن سيار النظام(ت231هـ) ، وأقر بالصرفة أي أنّ الله صرف الكفار عن معارضة القرآن²، ثم

¹ سامي محمد هشام حريز، نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم، نظرياً وتطبيقياً، ماجستير أصول الدين،

الجامعة الأردنية 2006، ص25.

² جيلالي أمينة حورية، الإعجاز البلاغي في آيات الخوف والرجاء، مذكرة تخرج ماستر، جامعة وهران، 2013-2014،

الجاحظ (ت255هـ) في كتابه (نظم القرآن) رداً على أستاذه القائل بمذهب الصرفة وذلك ليبين أنّ إعجاز القرآن يكمن في نظمه وتأليفه، ولقد اعتمد في هذا الكتاب (نظم القرآن) على النص القرآني، ولم يأخذ بآراء المفسرين واللغويين والنحويين ولا المعتزلة، بل ارتضى لنفسه رأياً لاعم فيه بين الأسلوب القرآني والبيان العربي¹.

وفي القرن الرابع الهجري شهد الإعجاز نهضة كبيرة، فبدأ الكلام عنه يأخذ طابع التعقيد والتنظيم والترتيب وشهد تأسيس أفكار وآراء أصيلة على أيدي أبو الحسن الرماني (ت384هـ) في كتابه (النكت في إعجاز القرآن) وأبو سليمان الخطابي (ت388هـ) في كتابه (البيان في إعجاز القرآن)².

وإذا اتجهنا إلى الخطابي وجدنا أنّه كان يبحث عن تفسير للبلاغة القرآنية التي فاقت كل البلاغات فكان أوّل من أدار درس الإعجاز البلاغي على خلاف الوجه الذي أداره غيره، فلم يبحث في التشبيه ولا في الاستعارة ولا في التقديم ولا في البديع وغيره مما خاض فيه الذين تكلموا عن الإعجاز البلاغي.

فالخطابي كان يبحث عن العلة التي ميزت بلاغة القرآن عن سائر البلاغات الأخرى، وذهب إلى أنّ أقسام الكلام البليغ ثلاثة: البليغ الرصين الجزل، والفصيح الغريب السهل، الجائر الطلق الرسل.

وبلاغة القرآن أخذت من كل هذا فخرجت في ثوب من الكلام يجمع بين الفخامة والعذوبة، كما يرى بأنّ الكلام يقوم على ثلاثة أشياء هي: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم³.

ولقد لجأ الخطابي كما لجأ الرماني من قبله إلى الأثر النفسي الذي يخلفه القرآن في نفوس متلقيه فيقول: "في إعجاز القرآن وجه آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من أحادهم، وذلك صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن

¹ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة 8، 1990م، ص44.

² جيلالي أمينة حورية، المرجع نفسه، ص4.

³ الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق

وتعليق محمد خلف الله ومحمد زعلول سلام، دار المعارف مصر، ص 26.

منظوما ولا منثورا اذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في الحال، ومن الروعة والمهابة في اخرى، ما يخلص منه اليه تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور.¹

واذا وصلنا إلى الرماني وجدنا بأنه لم يتبنى رأيا بعينه بل قال بكل الآراء، وإنّ اختلفت فجمع كل النظريات التي قيلت قبله ثمّ وفق بسين الآراء المختلفة وترك مسألة الحكم والمفاضلة بين الأساليب إلى الذوق الأدبي وحده.

وفي رسالة "النكت في إعجاز القرآن" يبين رأيه القائل أنّ وجوده إعجاز القرآن تظهر في سبع جهات "ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة".

ولقد أولى الرماني البلاغة أهمية كبيرة واعتبرها الوجه الأساسي في إعجاز القرآن ، فقسمها إلى ثلاث طبقات وجعل بلاغة القرآن في أعلى درجة.² ، ثم راح يقسم البلاغة إلى عشرة أبواب، ليدرج في كل منها أمثلة من القرآن الكريم الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلاؤم والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين والمبالغة وحسن البيان.

أمّا القرن الخامس الهجري فقد شهد توسيع القول في إعجاز القرآن وبسط الأدلة عليه وتفصيل القول في وجوهه، وتم ذلك على يد الباقلاني (403هـ) في كتابه (اعجاز القرآن) و عبد القاهر الجرجاني (471هـ) في كتابه (دلائل الاعجاز) .

وقد كان الباقلاني ممن كانت لهم دراسات مستفيضة في إعجاز القرآن الذي ذكر آراء العلماء المختلفة، ومنها بين الوجوه التي يمكن أن تكون صالحة لتفسير الإعجاز فحصرها في ثلاثة وجوه قال: "ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة وجوه من الإعجاز:

الوجه الأول: يتضمن الإخبار عن الغيوب وذلك ممّا لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم اليه.

الوجه الثاني: أنّه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم أنّه كان أميا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفا من حاله أنّه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين

¹ المرجع السابق، ص76.

² الرماني أبو الحسن بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت:محمد خلف الله،

محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، الطبعة 2، 1961م، ص75.

وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السير، من حيث خلق الله آدم عليه السلام، وابتداء خلقه، وما صار أمره إليه من الخروج من الجنة.

الوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه¹، يقول الباقلاني: "وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قد منا ذكرها، على حد واحد، في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب، من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف"²

ومن الذين اهتموا بإعجاز القرآن القاضي عبد الجبار (415هـ) الذي انتهج نهج الخطابي ولم يحد عنه "معظم الآراء التي ذهب إليها كانت رواية عن شيخه "أبي هاشم الجبائي أحد أئمة المعتزلة فهو يرى أن فصاحة الكلام تكون بأمرين جزالة اللفظ وحسن المعنى كما كان يفصل بين الفصاحة والنظم ويرى أن الكلام الفصيح لا يتوقف على نظم مخصوص ويخلص من ذلك إلى القول أنه لا يصح رد إعجاز القرآن إلى اختصاصه بطريقة في النظم دون الفصاحة، فالقاضي عبد الجبار يرد إعجاز القرآن إلى نظمه وفصاحته على السواء ولا يمكن أن نفصل أحدهما عن الآخر.

أما الجرجاني فقد صنف رسالة في الإعجاز وهي الشافية وقد طبعت مع رسالة الخطابي والرماني، ولم يكن هم الجرجاني في هذه الرسالة إلا إثبات الإعجاز فقط، ولم يدخلها شيء عن أوجه هذا الإعجاز وإنما جعل حديثه عن أوجه الإعجاز في كتاب له بعنوان (دلائل الأعجاز)، وقد ركز في كتابه هذا على النظم وجعله وجه الإعجاز في القرآن ومما يوضح رأيه يجلبه جوابه لمن سأل عن وجه الإعجاز في القرآن حيث أجاب بقوله: أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادقوها في سباق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ أية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل، ومساق كل خير، وصورة كل

¹ الباقلاني، إعجاز القرآن، علق عليه وخرج أحاديثه ابو عبد الرحمان صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية،

بيروت، لبنان، الطبعة 1، 2001م، ص28-29.

² المرجع نفسه، ص31، 32.

عظمة وتنبية وإعلام، تذكير وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وأية أية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبئ بها مكانها، لفظة يتكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أخرى وأخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور نظاما والتأما واتقانا واحكاما،¹

وتطاول الزمن دون أن يتغير هذا المنهج في البحث، حتى أذن الله تعالى لهذه الأمة أن تفيق من غفوتها على أيدي رواد النهضة، فبعثت من جديد كتب عبد القاهر الجرجاني ورجال مدرسته التي يتم منهجها باستلهاام النصوص الأدبية واسرارها، وعرض خواطر العلماء ونظراته في تلك النصوص بأسلوب مشرق ومضيئ يستهوي الدارس، ويضع يده على مواطن جماله وسنختر مجموعة من العلماء كنموذج لمن تعرض لقضية الإعجاز في العصر الحديث:

أولاً: رأي مصطفى صادق الرافعي:

لقد صنف الرافعي كتابا في الإعجاز سماه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) وتراه قد عرف الإعجاز بقوله "وإنما الإعجاز شئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة، ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز انسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت.²

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجزة في أثره الإنساني، ومعجز كذلك في حقائقه ومنه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء، فهي باقية ما بقيت.³

وبهذا فقد أشار الرافعي إلى ثلاثة أنواع من الإعجاز وهي من حيث تعلقه بغيره وذلك في تاريخه دون الكتب، وفي أثره الإنساني وفي حقائقه العلمية ، إلا أن الرافعي يركز في كتابه هذا على إعجاز القرآن من حيث نفسه باعتباره كلاما عربيا، ويعتبر أن إعجازه من هذه الناحية متمثل في البلاغة من حيث هي أسلوب ونظم وتراكيب، واليك بعض أقواله في ذلك حيث يقول تحت عنوان (أسلوب القرآن): وهذا الأسلوب فإنما هو مادة الإعجاز العربي في

¹ موسى مسلم سلام الحشاش، الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية، الجامعة الاسلامية، بغزة، 2007م، ص 14.

² مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، لبنان، الطبعة 9، 1973م، ص 139.

³ المرجع نفسه، ص156.

كلام العرب كله، ليس من ذلك شيء، إلا وهو معجز وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزاً وهو الذي قطع العرب دون المعارضة¹.

ثانياً: رأي محمد عبد الله دراز:

لقد تحدث الدكتور في كتابه النبأ العظيم عن أوجه الإعجاز وقد جعلها في ثلاثة أوجه وذلك حيث يقول فلنأخذ الآن-بعون الله وتوفيقه- في دراسة هذه النواحي الثلاث من الإعجاز القرآني أعني ناحية الإعجاز اللغوي، الإعجاز العلمي، وناحية الإعجاز الإصلاحي التهذيبي الاجتماعي، ولتكن عنايتنا أوفر بناحيته اللغوية لأنها هيا التي وقع من جهتها التحدي بالقرآن جملة وتفصيلاً في سورة منه لذلك نبدأ بها².

وقد خص البيان القرآن ي بخصائص تعتبر هي روح الإعجاز فيه وهي:

-القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى .

-خطاب العامة وخطاب الخاصة .

-اقناع العقل وامتناع العاطفة .

-البيان والإجمال³.

-الكثرة والوحدة.

وهاتان اللفظتان الكثرة والوحدة متعلقتان بجمال النظم ذلك أن في السور المعاني المختلفة في جوهرها المنفصلة بطبيعتها، ثم يمزج بينهما فيكون لها مزاج واحد واتجاه واحد على الرغم من وجود أزمان مختلفة وظروف متباينة فنجد في السورة الواحدة ضروباً من قصص وتشريع وجدل ولا تجد مع ذلك أي ملل أو سأم، وهكذا تجد وحدة الحبكة وقوة النظم بين القضايا المتعددة في السورة الواحدة فهو كلام واحد يتعلق أوله بآخره، وآخره بأوله يتراعى بجملته إلى غرض واحد، وهذا ما يعرف بالوحدة الموضوعية⁴

ثالثاً: رأي سيد قطب:

¹ مصطفى صادق الرافعي، المرجع السابق، ص157.

² محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار القلم، الكويت، 1984م، ص79.

³ المرجع نفسه، ص109-118.

⁴ المرجع نفسه، ص142-163.

لقد أوضح صاحب الظلال أنّ الإعجاز في كل آيات القرآن حتى في الآيات الأولى التي خلت من العلوم الكونية والتشريعات و يرى أنّ الإعجاز في بيان القرآن وأسلوبه وتصويره الفني المؤثر في النفوس وعبر عن ذلك بمصطلح جديد سماه تأثير القرآن على سامعيه، وأرجع هذا التأثير إلى تذوق الجمال الفني في القرآن، وذكر أن هذا التذوق الفني للقرآن مر بثلاث مراحل نلخصها في الآتي:

1. مرحلة التذوق الفطري:

وهي المرحلة التي قام بها الصحابة حيث لم يعللوا ما كانوا يحبونه من أثر القرآن عليهم وتأثيره فيهم

2. مرحلة ادراك بعض الخصائص الفنية:

قال أنّ بعض الأدباء والمفسرين أدركوا مواضع الجمال المتفرق في القرآن الكريم وأثنى على الإمام الزمخشري في لفتاته البيانية في تفسيره الكشاف وأيضاً على الجرجاني، فلقد أوشك أنّ يصل إلى شيء في كتابه (دلائل الإعجاز) ولولا أنّ قصة المعاني والألفاظ ظلت تخليل له أنّ أول الكتاب الآخر.

3. مرحلة ادراك الخصائص العامة الموحدة للجمال الفني للقرآني:

فهذه المرحلة لم يصل إليها أحد من السابقين ولم يبينوها، فهي تكمن في التصوير الفني في الأسلوب القرآني .

ويعتبر التصوير الفني في القرآن من أمور الإعجاز التي امتاز بها القرآن على غيره عن الكلام حيث ورد في الكثير من الآيات القرآنية تصوير المعنى الذهني في صورة حسية وكأَنَّها واقعة ملموس وشاهد أمام القارئ فتتطبع في ذاكرته ووجدانه، وهذا أبلغ في التأثير، فالإنسان قد ينسى قصة سمعها لكنه لم ينسى مشهداً أو صورة رآها¹.

رابعاً: رأي أمين الخولي:

للشيخ أمين الخولي جهود في البلاغة والإعجاز، وسنذكر بعض أرائه في مسألة الإعجاز:

¹ موسى مسلم سلام الحشاش، المرجع السابق، ص19.

1. في بحث (البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها) يرى أنّ الإعجاز يدرك بالذوق وطول الممارسة لعلوم الأدب، وخاصة البلاغة، وأنّ هذتا الإدراك وهذا الذوق يحتاجان إلى استعداد خاص في النفس، ويستحسن الخولي رأي السكاكي هذا في أنّ يكون طريق معرفة الإعجاز تكوين الذوق الفني، ودرس البلاغة على ما يقتضي به أصول التربية الفنية الصحيحة ولا يرى ضررا حينئذ من قصر البلاغة على بيان الإعجاز قصرا فنيا .

2. يقول الخولي بالإعجاز النفسي وذلك في مقالته: (البلاغة وعلم النفس)، وهو "يضرب المثل على الإعجاز النفسي بالتكرار، وما قال القدماء فيه. ثم بيان ما قرره علماء النفس حديثا فيه، من أنّه أقوى طرق الإقناع وخير وسائل تقوية الرأي والعقيدة في النفس البشرية على هيئة وفي تودة، دون استشارة لمخالفه بالجدل والمشادة في نظم البرهان، والتعرض البادي للاستدلال، إلى آخر ما يسوق علماء النفس على ذلك من شواهد ومثل عملية تغني عن اختراع الوجوه في تعليل التكرار القرآن ي، وجعله مثار الجدل والاختلاف، وينتهي من هذا إلى ضرورة تفسير القرآن تفسيراً نفسياً، ولو لم ننته إلى اتخاذ الطريق النفسي في فهم الإعجاز ومحاولة دركه، لأنّ هذا الفن القرآني، وهذا الموضوع الاعتقادي جانبان من جوانب الحياة الوجدانية"¹.

خامسا: بنت الشاطي والإعجاز:

1-ألفت الدكتورة عائشة عبد الرحمن، والملقبة ببنت الشاطي، كتابها: (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية ولغوية وبيانية)

وقد أشارت إلى اعجاز القرآن في مواضع عدة، كما في قولها: (وكانت المعجزة الكبرى الشاهدة على نبوة هذا البشر الرسول، كتابا عربيا مبينا، يعجز العرب أنّ يأتوا بمثله، لكي يصدقوا بنبوته ويتبعوه، وهو يقودهم برسالته إلى عصر الإنسان الذي لا يقر بالعبودية لغير خالقه) .

أكدت على أهمية الإعجاز البلاغي، فهو (الذي ذهب إليه الأكثرون من علماء أهل النظر، وسيطر على مباحث المتكلمين في الإعجاز، سواء منهم من جعلوه الوجه الذي

¹ محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة واعجاز القرآن الكريم، طبع على نفقة عبد الله احمد موسى، الطبعة

يصح به التحدي بالسورة الواحدة من القرآن، ويفسر موقف العرب عصر المبعث من المعجزة، والذين ذكروا مع إعجازه البلاغي غيره من وجوه الإعجاز الأخرى التي لا مشاحة فيها، وإنما الخلاف أن تتفصل عن إعجاز نظمه وبلاغته¹.

بينت صلة الإعجاز بالبحث البلاغي عند المؤلفين الأوائل، فقالت: (والواقع أن المصنفات الأولى في الإعجاز، على اختلاف مذاهب أصحابها، جاءت أشبه بمباحث بلاغية، مما قدروا أن إعجاز القرآن يعرف بها، وأن المعتزلي، والباقلاني الأشعري، تأخذ مكانها في المكتبة البلاغية. وبعد أن استقلت البلاغة بالتأليف والتصنيف، وجهت إلى خدمة الإعجاز البلاغي، الجرجاني يضع كتابه في النظم والبلاغة ويقدمه باسم: (دلائل الإعجاز)، و أبو هلال العسكري يضع علم الفصاحة والبلاغة تاليا لعلم التوحيد).

رفضت الإعجاز العلمي، وقالت في هذا السياق: (لا أحد يحجز على أي إنسان أن يفهم القرآن كما يشاء ولكن المحنة أن يؤلف فيه من ليسوا أهل الاختصاص، وتروج في البيئة الإسلامية أقاويل وتأويلات مقحمة على القرآن نصا وروحا، لا يعرف لها فقهاء العربية والإسلام والمتخصصون في القرآن، سندا ولا دليلا، وإنما تستند إلى ملتقطات من معارف المحدثين في التشریح، وعلم الأجنة، ورياضيات الفلك وبيولوجيا القمر، والتكنولوجيا و...، ولا شيء من هذا أن صح في أي خبر أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قاله لتلاميذه الصحابة، لكي يفهموا هذا الإعجاز العلمي، فضلا عن أن يبينوه للناس²).

2. تعريف الإعجاز:

أ/لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز، وعجز عجزا فيها ورجل عجز، وعجز: عاجزا وامرأة عاجز: عاجزة عن الشيء برأينا³، وذكر ابن فارس: أن العين والجيم والزاي تدل على أصلين أحدهما الضعف والآخر مؤخر الشيء¹.

¹ المرجع السابق، ص415.

² المرجع نفسه، ص416.

³ ابن منظور، لسان العرب، دار اللسان العربي، بيروت، ص691، الجزء الثاني.

وعرفه ابراهيم أنيس في المعجم الوسيط فقال: بأنه مشتق من الفعل أعجز بمعنى الفوت والسبق، يقال أعجزني فلان أي فاتني، وقال الليث أعجزني فلان اذا عجزت عن طلبه وادراكه².

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: عجز طلبته فأعجز، وعاجز: إذا سبق فلا يدرك، وأنه لمعجوز مثمود، وهو من عاجزته أي سابقته فعجزته...وعجز فلان عن العمل: اذا كبر³.

أما الراغب الأصفهاني فقال: العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره والعجز ضد القدرة، قال عز وجل: ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ سورة المائدة (31).

ونقول أعجزت فلانا وعاجزته أي جعلته عاجزا...والعجوز سميت عجوزا لعجزها في الكثير من الأمور قال عز وجل: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ سورة الصافات، الآية (135)⁴.

وأما الإمام الجوهري في (الصاح) فقال: العجز: الضعف، تقول: عجزت من كذا أعجز بالكسرة عجزا ومعجزة وعجزا بالفتح على القياس. والتعجيز والتنتطيط وكذلك إذا نسبته إلى العجز....والمعجزة واحدة من معجزات الأنبياء⁵.

ومن خلال هذه التعاريف اللغوية السابقة يتضح لنا مفهوم الإعجاز أو كلمة عجز فهي عدم القدرة على الفعل والقصور عن فعله وعدم القدرة على الإدراك والفوت والسبق، وهو عكس القدرة والاستطاعة.

وقد وردت مشتقات لفظ (عجز) في ستة وعشرين موضعا في كتاب الله، وذلك كما ذكرها محمد فؤاد عبد الباقي في معجمه، وسنعرض بعضا منها وهي:¹

¹ احمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، 1969م، مج 4، ص232.

² ابراهيم انيس واخرون، المعجم الوسيط، ط2، ج1، ص42-43.

³ الزمخشري، أساس البلاغة، دار المعرفة، بيروت، ص243.

⁴ الراغب الاصفهاني، معجم مفردات القرآن ينظر: كتاب عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن، ص74.

⁵ الجوهري، الصاح، دار الحضارة العربية، بيروت، الجزء 2، ص31.

1- أعجزت: ﴿ قَالَ يُؤَيِّلَتِيَ أَعْجَلْتُ أَلَا أَكُونُ مِنطَلَّ هَذَا أَلَا غُرَابٍ فَأُورِي سَلَامَةً أَخِي فَأَصْلَحَ بَحَ مِنَ النَّدْمِينَ ٣١ ﴾ سورة المائدة الآية (31).

2- نعجز: ﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُلْعِلَّ جِرَ اللَّهِ فِي أَلَا أَلَا ضٍ وَلَنْ نُلْعِلَّ جِرَهُ هَرَا ١٢ ﴾ سورة الجن الآية (12).

3- نعجزه: ﴿.. وَلَنْ نُلْعِلَّ جِرَهُ هَرَا ١٢ ﴾ سورة الجن الآية (12).

4- ليعجزه: ﴿... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُلْعِلَّ جِرَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي أَلَا أَلَا ضٍ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ٤٤ ﴾ سورة فاطر الآية (44).

5- يعجزون: ﴿ وَلَا يَلْعَلُ سَبَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقًا إِنَّهُمْ لَا يُلْعِلُّ جِرُونَ ٥٩ ﴾ سورة الانفال الآية (59).

6- معاجزين: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ٥١ ﴾ سورة الحج الآية (51).

-وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ٣٨ ﴾ سورة سبأ الآية (38).

-وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ ٥ ﴾ سورة سبأ الآية (5).

7- بمعجز: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ ٣٢ ﴾ سورة الاحقاف الآية (32).

8- معجزي: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ٢ ﴾ سورة التوبة الآية (2).²

وقال تعالى: في نفس السورة: ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ ﴾ سورة التوبة الآية (3).

¹ محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، دار الفكر، الطبعة 3، 1992م، ص .

² المرجع نفسه.

9- بمعجزين: قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ ١٣٤ ﴾ سورة الانعام الآية (134).

وقال تعالى: ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ ٥٣ ﴾ سورة يونس الآية (53).

وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ۝ ٢٠ ﴾ سورة هود الآية (20).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ ٣٣ ﴾ سورة هود الآية (33).

وقال تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَقَلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ ٤٦ ﴾ سورة النحل الآية (46).

وقال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ۝ ٥٧ ﴾ سورة النور الآية (57).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ ٢٢ ﴾ سورة العنكبوت الآية (22).

وقال تعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ ٥١ ﴾ سورة الزمر الآية (51).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ ٣١ ﴾ سورة الشورى الآية (31).

وقد أوردنا المواضع التي جاءت فيها مشتقات لفظ (عجز) بمعنى عدم القدرة والاستطاعة والقصور وعدم الإدراك وهو ما يخدم موضوعنا وكذلك الفوت والسبق كما أشرنا في التعريف اللغوي .

وتجدر الإشارة إلى ما ذهب إليه الأستاذ نعيم الحمصي حين قال: "لم يرد في القرآن اللفظ معجزة أو إعجاز، إنما جاء فيه ألفاظ، آية وبرهان وسلطان، وهذه الكلمات لا ترادف

كلمة معجزة، ولا تشمل معنى الإعجاز والمفهوم منها¹، وإنّما تدل على جزء من معناها الذي يشمل أكثر من معنى جزئي واحد، وهذا الجزء يقابل كلمة الدليل أو الحجة، بمعنى أنّ حادثة من الحوادث هي دليل نبوة أحد الأنبياء أو دليل الألوهية، ولا يدل على أكثر من ذلك، وأمّا كلمة معجزة تدل على أمر خارق للعادة يكون دليلاً على نبوة أحد الأنبياء دون غيره، ويعجز غيره من الخلق على الإتيان بمثله، ومن الصعب جداً أنّ تحدد الزمان أو المكان أو الأثر الذي استعملت فيه كلمة معجزة أو إعجاز أول مرة بهذا المعنى الاصطلاحي².

ب/اصطلاحاً:

تطرق العديد من العلماء والمفسرين إلى مفهوم الإعجاز اصطلاحاً، وسنحاول الوقوف على البعض من هذه المفاهيم .

قال مصطفى صادق الرافعي في كتابه "إعجاز القرآن : (...وإنّما الإعجاز شيئان: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولته على شدة الإنسان واتصال عنايته، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه، فكان العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغّة ما بلغت فيصير من الأمر المعجز إلى ما يشبه في الرأي مقابل أطول الناس عمراً بالدهر على مداه كله) .

فإنّ المعمر دهر صغير، وأنّ لكليهما مدة في العمر هي من جنس الأخرى، غير أنّ واحدة منها قد استغرقت الثانية، فإنّ شاركتها الصغرى إلى حدّ فما عسى أنّ يشركها فيما بقي³.

ويعرفه السيوطي بقوله: اعلم أنّ المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة⁴. ويقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: أجمع عامة الباحثين من علماء العربية والتشريع والفلسفة والفرق المختلفة أنّ القرآن معجز⁵.

¹ محمد فؤاد عبد الباقي، المرجع السابق.

² نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، ط2، 1980م، ص7.

³ مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة رجاى الجزائر، ط8، ص139.

⁴ جلال الدين السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تحقيق احمد بن علي، دار الحديث، 2004م - ج 4، ص3.

⁵ عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دراسة نظرية للإعجاز البياني في الآيات المحكمات، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، بوفاريك، البلدة، ط1- 2003م، ج1، ص75.

وذهب الأستاذ محمد علي الصابوني في كتابه (البيان في القرآن الكريم) إلى أنّ: إثبات عجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله وليس المقصود من إعجاز القرآن هو تعجيز البشر لذات العجز، أي تعريفهم بعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن فإنّ ذلك معلوم لدى كل عاقل، إنّما الغرض هو إظهار أنّ هذا الكتاب حق وأنّ الرسول الذي جاء به رسول صادق وهكذا سائر معجزات الأنبياء الكرام¹.

وعرف الإعجاز عبد الرحمان الميداني بقوله: أمر ممكن عقلا، خارق للعادة، يجربه الله على يد من أراد أن يؤيده ليثبت بذلك صدق نبوته، وصحة رسالته²، أمّا عبد القاهر البغدادي فيقول: وحقيقة المعجزة عند المتكلمين ظهور أمر خارق للعادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء أو ذي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى عن المعارضة³.

ويعرف ابو عبد الله القرطبي المعجزة بقوله: وسميت معجزة لأنّ البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة، فإنّ اختل منها شرط لا تكون معجزة⁴.

ويعرفها عبد السلام لوح بقوله: (إنّ المعجزة هي أمرا خارق للعادة يظهره الله على يد النبي على وفق مراده تصديقا له في دعواه مقرونا بالتحدي مع عدم المعارضة، وذلك كلّه في زمن التكليف)⁵.

ويذهب عمر السلامي في كتابه: (الإعجاز الفني في القرآن) إلى تعريف الإعجاز بما يلي: الإعجاز هو قصور القدرة البشرية عن محاكاة القرآن والإتيان بمثله⁶.

ويزيد هذا المعنى وضوحا عند تعريفنا للمعجزة، يذهب الدكتور أمير عبد العزيز في كتابه: (دراسات في علوم القرآن) إلى أنّ: الإعجاز من المعجزة وهي الخروج عن المألوف في سنن الحياة والكون مع الاقتران بالتحدي للبشر وعدم المعارضة من أحد¹.

¹ محمد علي الصابوني، البيان في علوم القرآن ، دار الشهاب، ص83.

² عبد الرحمان حسن حيكمة الميداني، العقيدة الاسلامية وأسسها، دار القلم، بيروت، ط2- 1979م، ص338.

³ عبد القاهر البغدادي، أصول الدين، استانبول، مطبعة الدولة، ط1- 1928م، ص170.

⁴ ابو عبد الله القرطبي، الجامع لإحكام القرآن ، مج 1، ص79.

⁵ موسى الحشاش، مذكرة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، ص14.

⁶ عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1980، ص35.

إذ يتحدى صاحبها من حوله من الجنة والناس ليعلموا أنهم ليسوا فادرين على المجارة لما هو قائم يتحدى، وكذلك فإنّ عدم المعارضة من أحد تحقيق مؤكّد وحاسم لصدق المعجزة كي تستيقن النفوس وتعي الأذهان، وقد تتكرر محاولات نفر من الناس غرورا ليجهدوا أنفسهم في المجارة فيظنون يصطنعون الأقوال والأفعال فيما يحسبونه تحديا، لكنه في ميزان الحقيقة والواقع ضرب من أضرب التوهيم الفاسد الذي تفرزه حناجر الكذابين المفترين في كل زمان ومكان².

أمّا سيد قطب فيقول: إنّ الإعجاز يتمثل في أنّ إعجاز القرآن يكمن في بيانه وتعبيره، ويتمثل في طريقة التصوير الفني التي عرض بها موضوعاته، والتي من أجلها كان له سحره الخاص، وتأثيره الخاص وجاذبيته الخاصة، والتي تساوي في الاقرار بها، المؤمنون والكافرون على السواء في القديم والحديث .

لقد نظر في الإعجاز من زاوية جديدة، غير الزاوية التي نظر فيها كثير من السابقين في الإعجاز...إنّما نظروا في القرآن جملة، أمّا سيد قطب فأدرك أنّ الإعجاز إنّما يكمن في بيان القرآن ونسقه وتصويره وفنه³.

(... الإتيان بالأمر الخارق للعادة، مقرونا بالتحدي مقرا بقصور القدرة الإنسانية، ومخالفا للمألوف والمتواتر في المحسوس، ويقوم حجة قاطعة في يد الأنبياء على صدق دعواهم في رسائلهم السماوية).

والمعجزة وإنّ خالفت المألوف المتواتر، فهي تساير الغفل والطبيعة بقول باسكال: "إنّ المعجزات برق يرينا الله"⁴.

المعجزات إمّا حسية أو عقلية، وخص الله محمدا وأمته بالمعجزة العقلية، لأنّها باقية أبداً لدهر، ولكي يبصرها ذوو البصائر في كل زمان ومكان، فالعقل البشري واحد حينما كان،

¹ أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب، الجزائر، ط2- 1988م، ص116.

² المرجع نفسه، ص116.

³ عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، شركة الشهاب، الجزائر، 1988م، ص 285-286.

⁴ عمر السلامي، المرجع السابق، ص53.

والبيئة والتربية تكيفان وتمنحجان، والرسول يشهد على ذلك بقوله: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا) أخرجه البخاري.

ومعجزة محمدا صلى الله عليه وسلم كانت في القرآن في حد ذاته، فهو كتاب معجز، أما الكتب السماوية الأخرى فمعجزة فيما تضمنته من الأخبار الغيبية، وغير معجزة في أسلوبها ونظمها¹.

والذي نخلص إليه من خلال هذه التعاريف أن أغلبها عرفت الإعجاز بمعنى إظهار صدق النبي عليه السلام في دعوى الرسالة وذلك بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز كل الأجيال التي تأتي فيما بعد.

ونلاحظ كذلك أن مفهوم الإعجاز نفسه مع المعجزة، ولهذا نقول بأن المعجزة أمر خارق للعادة أتى بها نبي من الأنبياء في زمن من الأزمنة وتحدى بها من كانوا في زمانه، ولم يستطيعوا بأن يأتوا بمثله. وهكذا فالقرآن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم التي أظهرها الله على نبيه لإظهار صدق نبوته وليتحدى بها العرب، إلا أنها معجزة خالدة لكل الأزمان وفيها الكثير والكثير من المعجزات التي ظهرت والتي لم تظهر بعد أو لم يصل العقل البشري إلى تفسيرها .

3. شروط المعجزة:

ذهب القرطبي رحمه الله في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) أن هناك شروط للمعجزة وهي:

الشرط الأول:

أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه، لأنه لو أتى أت في زمان يصح فيه مجيء الرسل وادعى الرسالة وجعل معجزته أن يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد لم يكن هذا الذي ادعاه

¹ المرجع السابق، ص54.

معجزة له ولا دالا على صدقه لقدرة الخلق عليه، وإنّما يجب أن تكون المعجزات كفلق البحر وانشقاق القمر وما شاكلها ممّا لا يقدر عليه البشر.

الشرط الثاني:

هو أنّ تخرق العادة، كما فعل ذلك الأنبياء كتحول عصا سيدنا موسى عليه السلام إلى ثعبان، وكشفه للبحر حين صار يبسا بأذن الله وغيرها من معجزات الأنبياء¹.

الشرط الثالث:

وهو أنّ يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل، فيقول آيتي أنّ يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتا أو يحرك الأرض عند قلبي لها زلزلي فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المتحدى به .

الشرط الرابع:

هو أنّ تقع على وفق دعوى المتحدى بها المستشهد بكونها معجزة له، لأنّه لو حدث عكس ذلك لم تكن معجزة، وهذا ما حدث لمسيلمة الكذاب مدعي النبوة، فإنّه حين تفل في بئر ليكثر ماؤها غارت البئر وذهب ماؤها، فما فعله المولى عز وجل من هذا كان من الآيات المكذبة لمن ظهرت على يديه لأنّها وقعت خلاف ما أرادته المتنبئ الكذاب.

الشرط الخامس:

ألاّ يأتي احد بمثل ما أتى به المتحدى على وجه المعارضة، فإنّ تم أمر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذه الشروط المتقدمة فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يده².

ونفهم من كلام القرطبي أنّ للمعجزة خمسة شروط وهي كما رأينا:

1. عدم قدرة البشر على الاتيان بمثلها .

2. أن تكون خارقة للعادة .

¹ ابو عبد الله القرطبي، الجامع لإحكام القرآن ، تقديم هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج1، ص82.

² المرجع نفسه، ص82.

3. الاستشهاد على مدعي الرسالة بالمولى عز وجل.

4. موافقة دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها .

5. أن لا يأتي بمثلها احد على وجه المعارضة واجتماع كل هذه الشروط دلالة على صدق النبوة.

4. وجوه الإعجاز (أنواعه) :

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للنبي صلى الله عليه وسلم وقد اتفق العلماء على أن أعظم وجوه القرآن بيانه ولغته وأسلوبه ونظمه، لقد امتاز العرب بالسليقة وسرعة البديهة ولذلك لما سمعوا القرآن الكريم استولى على مسامعهم وصار حديث نواديهم، واهتزت لهم البابهم، ولذا كان حريا بهم أن يؤمنوا به ولكنهم كانوا أشد عنادا، فتحداهم القرآن الكريم أن يأتيوا بمثله فقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ سورة الطور الآية (34).

وقال: ﴿...قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ... ١٣﴾ سورة هود الآية (13)، فلما عجزوا ولم يستطيعوا خفف عنهم القرآن فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۚ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣٨﴾ سورة يونس الآية (38).

ولكن القوم عجزوا فتحداهم القرآن للمرة الأخيرة فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣﴾ سورة البقرة الآية (23). ويمكن أن نتحدث على أهم وجوه الإعجاز في القرآن كما يأتي:

1- الإعجاز الغيبي:

ويتمثل بما تحدث عليه القرآن في الأنباء عن الغيب الماضي والمستقبلي، وذلك برهان ساطع ودليل قاطع على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر إنما هو كلام علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية ولو كان من صنع محمد عليه السلام كما زعموا لظهرت علائم الوضع في تلك الأخبار الغيبية بوقوعها على خلاف ما أخبر، وحاشاه صلى الله عليه وسلم من الكذب على الله، ومن هذه الأمور والأخبار الغيبية إخباره عن الحرب التي ستقع بين الروم والفرس وستكون الغلبة فيها والنصر للروم بعد أن انكسروا في الحرب السابقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ

سَيَغْلِبُونَ(3) فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿ سورة الروم الآية (1-4) .

وفعلا تحققت نبوءة القرآن وذلك في 622م الموافقة للسنة الثانية من الهجرة النبوية في انتصار الروم وانهزام الفرس .

ومنها التنبؤ بدخول الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة آمنين مطمئنين، اذ روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى كأنه هو وأصحابه دخلوا مكة آمنين، وكانت هذه الرؤية قبل خروجه إلى الحديبية، فقص هذه الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا قال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ... ٢٧ ﴾ سورة الفتح الآية (27)¹.

ومنها التنبؤ بإظهار الإسلام على جميع الأديان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ سورة التوبة الآية (33) واخباره عن فتح مكة: ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ سورة الفتح الآية (27)².

2- الإعجاز التشريعي:

يرى الشيخ محمد أبو زهرة أن ما اشتمل عليه القرآن من أحكام تتعلق بتنظيم المجتمع وإقامة العلاقات بين أحاده على دعائم من المودة والرحمة والعدالة، لم يسبق به في شريعة من الشرائع الأرضية، وإذا وازنا بين ما جاء في القرآن وبين ما جاءت به قوانين اليونان والرومان وما قام به الإصلاحيون للقوانين والنظم بما جاء في القرآن وجدنا أن الموازنة فيها خروج عن التقدير المنطقي للأمور فجاء محمد صلى الله عليه وسلم ومعه القرآن الذي ينطق عن الله سبحانه وتعالى من غير درس درسه، وكان في بلد أمي ليس فيه معهد ولا جامعة ولا مكان للتدريس واتى بنظام العلاقات الاجتماعية والتنظيم الإنساني ولم يسبقه سابق والتشريعات القرآنية متعددة الجوانب، منها ما اصطلح على تسميته بالعبادات وهي

¹ عامر عمران علوان الخفاجي، كلية العلوم الاسلامية، قسم علوم القرآن، شبكة جامعة بابل. الرابط:

<http://www.vobabylonedu.iq/eprints/publication12-23552-81pdf>

² المرجع نفسه.

الطهارة والصلاة والزكاة والحج، ومنها المعاملات كالبيع والإجارة وهي ما تعرف بالقانون المدني، ومنها الأحوال الشخصية ومنها ما يعرف بالسير وهي التي تسمى في لغة القانون بالعلاقات الدولية إلى غير ذلك من التشريعات¹.

ويرى أستاذنا الدكتور الصغير بأن الإعجاز التشريعي يتمثل بما فصله القرآن بآيات الأحكام وفقه القرآن بما لا عهد لمناخ الجزيرة بتفصيلاته الدقيقة فقد نظم حياة الفرد والأمة بإحكام لا مزيد على²، إبرامها برباط الحرية دون فوضى وبريقه الامتثال دون استعباد، فالأحوال الشخصية قد نظمت بأحكامها الجديدة في الزواج والطلاق والعدة والنفقة والموازين والوصايا والحدود والديات والجروح والقصاص والديون والعقود بما لم تسبق إليه أعرق الأمم تشريعاً.

3- الإعجاز العلمي:

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم والتي بلغت من نصاعة البرهان وقوة الحجة مبلغاً يستحيل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو رجل أمي نشأ بين الأميين أن يأتي بها من عند نفسه، بل يستحيل على أهل الأرض جميعاً من أدباء وعلماء وفلاسفة وحكماء ومن مشرعين وعابرة أن يأتوا بمثل هذه العلوم والمعارف قال تعالى: ﴿سُئِلَهُمْ آيَاتُنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ سورة فصلت الآية (53).

ولاشك في أن ما أورده القرآن من نظريات وقوانين وصل إليها العلم الحديث في تمدد الكون وانشطار النجوم وتعدد الأفلاك وإبعاد السماوات والأرض، وقد كتب في هذا الشيخ الطنطاوي جوهري في تفسير الجواهر، ويذكر الدكتور بيضون أن: " القرآن يزخر بالآيات العلمية، ووجد أنها تربو على 800 آية ومن هذه الآيات مثلاً ما يتحدث على معجزة النحل والعسل فيقول: (حقاً ما أروع مخلوقات الله من صغيرها إلى كبيرها، ومن حيواناتها إلى نباتها، تدل على عظمة خالقها وتقر بإبداع بارئها. ولو أمعنت النظر إلى الجوادة والنحلة والنملة والفراشة لرأيت من مظاهرها تدبيرها عجباً، وتأملت غرائب خلقها طرباً)، وفي هذا قال الإمام علي بن أبي طالب: (ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها، وما في الجوف

¹ المرجع السابق.

من أضلاع بطنها، وما في الرأس من عينها واذنها، لقيت من خلقها عجا، ولقيت من وصفها نصبا، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبنّاها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعبه على خلقها قادر¹.

4- الإعجاز البياني:

إنّ أعظم وجوه إعجاز القرآن هو الإعجاز البياني، لأنه ينتظم القرآن كله، سور على اختلافها طولاً وقصراً، أمّا الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز فليس الأمر فيها كذلك، فأنباء الغيب مثلاً ليست موجودة في كل آية من القرآن، وكذلك الإعجاز التشريعي والعلمي، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه وأعمها لأنّه عام في القرآن كله، لا تخلو منه سورة على قصرها، بل هو في كل آية من الآيات. والإعجاز البياني يرجع في لبه وجوهره إلى النظم ليس خاصاً بالعرب وحدهم، والنظم هو ذلك الترتيب الذي كان لكلمات القرآن في جملها من جهة واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة، وفي هذا يرى أستاذنا الدكتور الصغيران هذا يتمثل بالتركيبة الخاصة المتميزة لألفاظ ومعانيه، وفي القرآن مجموعة العلاقات المجازية والاستعارية والتشبيهية والكنائية والرمزية والإيحائية بين المعاني والألفاظ، وذلك السر الأكبر في إعجاز القرآن، فالعرب أمة بيان.

وقد كان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه من أوائل رواد هذا المنهج في نهج البلاغة والذي كان امتداداً طبيعياً للإعجاز البياني في القرآن ولاشك أنّ الحضارة الإنسانية اليوم بحاجة إلى هذا المنهج في استجلاء القرآن وجماله، واستقراء خفايا مكنوناته².

5- الإعجاز العددي:

¹ المرجع السابق .

² المرجع نفسه .

بعد الاطلاع على عدد من الدراسات العددية وجدت من بين الباحثين من يتجنب الخوض في الإعجاز العددي نظرا لاعتقاد خاطئ ببطلان هذا النوع من الإعجاز أو بعدم شرعيته تحت ادعاءات غير صحيحة. والحقيقة أننا لم نجد لهذا الاعتقاد سندا يؤيده في القرآن ولا في الحديث. (إن حب الاسلام، وصدق الرغبة في تنزيه القرآن يدفعان إلى التدقيق والتحقيق، وإلى الدقة والموضوعية والمنهجية السوية في القبول والرفض أمّا المسارعة إلى الرفض من غير علم وإحاطة بالموضوع فهي من علامات عدم التقوى قبل ان تكون من علامات الجهل) .

وعليه فإننا ننظر بإيجابية إلى وجود معارضين للإعجاز العددي ولكننا نرجو أن تكون هذه المعارضة صادقة، وكم نسر عندما نجد أن المعارض يقدم الدليل المقنع لأن هذا يساهم في تصويب المسيرة ويحفظ من الزلل، وكم نشعر بالغبط عندما نرى أن المعارض لا يفهم شيئا عن الموضوع، والمتتبع لهذا الوجه يجد أن الأستاذ عبد الرزاق نوفل قد وفق إلى ذكر المقارنات والموازنات الحسابية الدقيقة حيث قام بعمليات احصائية لورود الألفاظ المتناظرة والمتقابلة، والمتضادة، والمتناقضة، وقابلها بالعدد نفسه، أو نصفه أو شطره، أو ما يقاربه مما شكل ثروة عددية تتبى بالضرورة أن القرآن لم يستعملها صدفة، بل بميزان، وذلك الميزان لا يمكن أن يكون من صنع البشر، فهو إذن من أدلة إعجازه .

ولا شك في أن الأعداد في القرآن الكريم لها مدلولاتها ولا توجد عبثا، فمثلا كلمة (يوم) تكررت في القرآن الكريم 365 مرة وهو نفس عدد أيام السنة. ومثلها كلمة (شهر) تكررت في القرآن 12 مرة وهو نفس عدد الشهور في السنة الواحدة وغيرها من الأمثلة ...

6- الإعجاز اللغوي:

تحدث الدكتور مناع القطان عن الإعجاز اللغوي حيث قال: (وتتابعت القرون لدى أهل العربية، وظل الإعجاز القرآن ي اللغوي راسخا كالطود الشامخ، تذل أمامه الأعناق خاضعة، لا تفكر في أن تدانيه، فضلا عن أن تساميه، لأنها أشد عجزا وأقل طمعا في هذا المطلب العزيز، وسيظل الأمر كذلك إلى يوم الدين) . وبين كذلك أن الإعجاز اللغوي يكمن في عدة أمور وهي:

1. في نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه، فلا تمله الأذن، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد.

2. في الفاظه التي تفي بحق كل معنى في موضعه .
3. في أنواع الخطاب .
4. في اقناع الغفل وإمتاع العاطفة بما يفي بحاجة النفس البشرية¹.

ثانياً/البيان:

1.لمحة عن تطور مصطلح (علم البيان) :

ترتبط البلاغة العربية في الأذهان عند ذكرها بعلومها الثلاثة المعروفة اليوم وهي: علم المعاني، علم البيان، وعلم البديع، وقد يتبادر إلى بعض الأذهان أنّ هذه العلوم الثلاثة البلاغية قد نشأ كل واحد منها مستقلاً عن الآخر بمباحثه ونظرياته، ولكن الواقع غير ذلك.

فالواقع أنّ البلاغة العربية قد مرت بتاريخ طويل من التطور حتى انتهت إلى ما انتهت إليه، وكانت مباحث علومها مختلطاً بعضها ببعض منذ نشأة الكلام عنها في كتب السابقين الأولين من علماء العربية وكانوا يطلقون عليها البيان .

وقد أخذت الملاحظات البيانات تنشأ عند العرب منذ العصر الجاهلي، ثم مضت هذه الملاحظات تنمو بعد ظهور الإسلام لأسباب شتى، منها تحضر العرب، واستقرارهم في المدن والأقطار المفتوحة ونهضتهم العقلية، ثم الجدل الشديد الذي قام بين الفرق الدينية المختلفة في شؤون العقيدة والسياسة، فكان طبيعياً لذلك كله أنّ تكثر الملاحظات البيانية والنقدية تلك التي نلتقي بها في تراجم بعض الشعراء الجاهلين والإسلاميين في كتاب مثل كتاب الأغاني² .

أمّا في العصر العباسي فأئنا نجد الجاحظ (ت 200هـ) عرفه فقد قال عنه: (البيان) اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضى السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصولة كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك

¹ مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة 7- 1999م، ص273.

² عبد العزيز عتيق، علم البيان في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، ص8.

الدليل، لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والافهام، فبأي شيء بلغت إفهامه وأوضحت المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع¹.

وقد جعل الجاحظ البيان ودلالته خمسة: اللفظ، والإشارة، والعقد - وهو ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين، ويقال له: حساب اليد، والخط، والمشيرة بغير اليد، وتقوم مقام الأصناف المتقدمة ولا تقصر عن تلك الدلالات، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق، وبذلك قال الأول: (سل الأرض فقل: من شق انهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإنّ لم تجبك حوارا إجابتك اعتبارا) .

وهذه الصور الخمس هي البيان عند الجاحظ، وقد تابعه في هذا ابن وهب إلّا أنّه جعلها أربعة، ولو نظرنا إلى هذه الدلالات الأربعة عند ابن وهب لوجدناها قريبة الصلة بما ذكره الجاحظ .

والرمانى (ت 386هـ) قال: (البيان، هو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك، والبيان على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة) .

والكلام على وجهين: كلام يظهر به تميز الشيء عن غيره فهو بيان، وكلام لا يظهر به تميز الشيء فليس ببيان، كالكلام المخلط، والمحال الذي لا يفهم به معنى، وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن من قبل انه قد يكون على عي وفساد، كما يحكى عن باقل، وقد بلغ من عيه أنّه سئل عن ظبية كانت معه بكم اشتراها؟ فأراد أن يقول: بأحد عشر، فأخرج لسانه وفرج أصابعه، فأفلتت الظبية من يده، فهذا وإن كان قد أكد للإفهام، فهو ابعد الناس من حسن البيان، لأنّ الله قد مدح البيان، واعتد به، فقال: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾ سورة الرحمن الآيات (1-4).

فالبيان عند الرمانى يلتقى بما روى عن الجاحظ وابن وهب، وكلامه فيه عود إلى وجوهه عند الجاحظ .

وابن رشيق (ت 463هـ) نقل عن الرمانى ولكنه لم يقف عنده، وساق له تعريفا فقال: (هو الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقله، وإنّما قيل ذلك لأنّه قد يأتي التعقيد في

¹ عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000م، ص8.

الكلام الذي يدل ولا يستحق اسم بيان) وفي الأمثلة التي ساقها بعد ذلك دليل على أنه كان قريباً مما قال به الأولون¹.

وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) جعل الفصاحة، والبلاغة، والبراعة، والبيان، تدل على معنى واحد أو متقارب، وهو التعبير عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا، وتكلموا، وأخبروا السامعين عن مقاصدهم وأغراضهم وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم).

فالبيان عند عبد القاهر لم يتغير عن ذي قبل، ولا زال المقصود منه معنى الكشف والإيضاح عما في النفس، والدلالة عليه.

وإذا كان هذا هو فهم عبد القاهر لهذا المصطلح في ذهنه وعند من عاصروه فلم يحاولوا الفصل بين الدراسات البلاغية وتقسيمها إلى علومها الثلاثة (المعاني والبيان والبدیع) فإن من الافتيات على عبد القاهر ما وقع فيه الناشر حيث كتب تحت (دلائل الإعجاز) وهو عنوان كتابه عبارة (في علم المعاني)، وكتب تحت (أسرار البلاغة) وهو عنوان كتاب آخر له (في علم البيان)، لأن (دلائل الإعجاز) فيه من المباحث ما يدخل في صميم مباحث (علم البيان)، كما أن في (أسرار البلاغة) من المباحث ما يدخل في (علم البديع)².

وابن الاثير (ت 637هـ) رأى في (البيان) معنى واسعاً يدل على البلاغة كلها، -فصاحة وبلاغة - فقال

(موضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية، وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة، والمراد بها أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب. وجعل من أدوات علم البيان ثمانية: معرفة علم العربية من النحو والتصريف، وما

¹ المرجع السابق، ص 9.

² المرجع السابق، ص 10.

يحتاج إليه من اللغة، ومن أمثال العرب وأيامهم، والاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة، ومعرفة علم العروض والقوافي لمن يريد الشعر)¹.

وهو بهذا لم يخرج بالبيان عن سبقوه.

وظل هذا المفهوم الواسع لكلمة (بيان) حتى ظهر في خوارزم السكاكي (ت626هـ) فحجر ما كان واسعاً ووضع للبلاغة قواعد المنطقية، وقسمها إلى (المعاني والبيان، والحق بهما المحسنات) وجعل لكل قسم تعريفاً واحداً.

وقد عرف البيان، فقال:

(وهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه).

فالسكاكي خصص (البيان) وجعله قسماً مستقلاً من علوم البلاغة، وأصبحت البلاغة العربية عنده قسمين:

1-صنف يبحث فيه عن الهيئات والأحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الأحوال، وهو-علم المعان-

2-صنف يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه، فقد ينطق باللفظ ولا يراد به منطوقه، بل يراد به لازمه، وإن كان مفرداً كقولك: أسد، فلا تريد حقيقة الأسد المنطوقة وإنما تريد شجاعته اللازمة وتسندها إلى زيد، وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه، كما تقول: زيد كثير الرماد، وتريد ما لزم ذلك، وهو الجود وقرى الضيف، لأن كثرة الرماد ناشئة عنها، فهي دالة عليها، وهذه كلها دلالة زائدة عن دلالة الألفاظ من المفرد والمركب وهذا هو -علم البيان-

وقد جعل السكاكي (علم البيان) شعبة من (علم المعاني) لا تتفصل عنه إلا بزيادة اعتبار، لذلك جرى منه مجرى المركب من المفرد، ولهذا أخره في الحديث عن علم المعاني وهذا

¹ عبد الفتاح لاشين، المرجع السابق، صفحة نفسها.

تعليل منطقي لجأ اليه السكاكي في التقسيم وجعل ذلك تكأة لتأخير (علم البيان) عن (علم المعاني) في الحديث عنه ¹.

وما أحسن قول عبد القاهر في هذا لو لجأ اليه (إنّ في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلاّ من بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته ²، وقد الحق بهما قسما آخر -المحسنات -، وهو ما عرف بعد ب(علم البديع) .

وبذلك أصبحت كلمة (البيان) عنوان علم له أصول وقواعد يمكن بواسطتها إبراز المعنى بصور مختلفة بعضها أوضع من بعض، مع مطابقة كل منها لمقتضى الحال.

ومن جاء بعد السكاكي كان مرددا كلامه، وما جاء بعد المفتاح من الكتب كان تلخيصا أو شارحا لتلخيصه .

ومما تقدم نفهم أن (البيان) ينطلق على معنيين:

(أ) معنى أدبي أوسع وأشمل، يشمل الإيضاح عن كل ما يختلج في النفس من المعاني، والأفكار والأحاسيس، والمشاعر، بأساليب لها حظها الممتاز من الدقة، والإصابة والوضوح، والجمال، وهو بهذا التعميم يجمع فنون البلاغة الثلاثة المعاني والبيان والبديع، وهذا المعنى هو المراد عند إطلاق لفظ (البيان) .

(ب) معنى علمي ضيق: وهو إيراد المعنى الواحد بطرف مختلفة كما سبق.

وما دمنا بصدد معرفة الذي وضع مصطلح (علم البيان) لابد من التعرض لما ذكره الباحثون من أن الزمخشري أول من ميز بين مصطلح (علم المعاني، وعلم البيان) وأول من قسم البلاغة إلى (علم المعاني، وعلم البيان) .

والحقيقة أنّ الزمخشري (ت 538هـ) لم يؤثر عنه ذلك، وكل ما ورد عنه أنّه ردّ في كشفه مصطلحي (علم المعاني، وعلم البيان)، يقول عند الحديث عن العلماء الذين يستطيعون تفسير القرآن : (لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء

¹ المرجع السابق، نفس الصفحة .

² المرجع السابق، ص11.

من تلك الحقائق إلاّ رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما (علم المعاني، وعلم البيان) ¹.

ولكن كلامه في ذلك غير واضح، فقد كان يطلق على مباحث البلاغة جميعها (علم البيان) فمثلا الاستئناف المعروف في باب (الفصل والوصل) من أبواب (علم المعاني) يجرى عند الزمخشري تحت اسم (علم البيان) ، وذلك عنده تفسيره لقوله تعالى: ﴿قِيلَ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ سورة يس الآية (26) ، يقول الزمخشري ما نخرج هذا القول من علم البيان ؟ ويجيب قائلا: مخرجه مخرج الاستئناف .

وكذلك فعل في (الاختصاص) -وهو من أبواب (علم المعاني) ، في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۚ﴾ سورة الاسراء الآية (100)، وبعد أن يشرح الآية من الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب، يقول: فأما ما يقتضيه (علم البيان) فهو أنّ (أنتم تملكون) فيه دلالة على اختصاص، وأنّ الناس هم المختصون بالشح المتبالغ) .

واللف والنشر الذي يعد من (علم البديع) يتحدث عنه الزمخشري باسم (علم البيان) في معرض تفسيره لآية الصيام ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ... ١٨٥﴾ سورة البقرة الآية (185)، فيقول: (إنّ هذا النوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى إلى تبينه إلاّ النقاب المحدث من علم البيان) .

ويقول البهاء السبكي عن الزمخشري، إنّ كثيرا ما يقع كلامه في (الكشاف) تسمية علمي (البيان والبديع) بعلم البيان، وقد يسمى علوم البلاغة الثلاثة بعلم البديع استشهادا بقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ سورة البقرة الآية (16) ، إنّ من الصنعة البديعية .

والزمخشري وإنّ ذكر مصطلح (البديع) عند ذكر بعض ألوانه، كالجناس-عند قوله تعالى: ﴿... وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ٢٢﴾ سورة النمل الآية (22) ، فيقول: إنّ هذا من جنس البديع الذي سماه المحدثون (البديع) ،وهو من محاسن الكلام التي تتعلق باللفظ .

¹ المرجع نفسه، ص12، 13.

كما ذكر مصطلح (علم البيان) عند ذكر بعض ألوانه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ...﴾ ٦٧ سورة الزمر الآية (67) ¹.

وعلى الرغم من ذلك فقد خلط بسيما جميعا، فبحوث (علم المعاني) أطلق عليها (علم البيان) كما في الاختصاص والاستئناف-المعروف في (الفصل والوصل) ، (واللف والنشر) الذي يعد من (علم البديع) تحدث عنه باسم (البيان) ، والصور البيانية الخالصة وصفها بالصنعة البديعية- كما وضح ذلك في النصوص السابقة المنقولة عن الزمخشري ².

وإذْ فذكر (علم البيان، وعلم المعاني) في (الكشاف) الزمخشري، لا يعدو أن يكون مجرد تسمية أطلقها دون أن يضع حدا لعلم البيان أو المعاني، ودون أن يفرق من الناحية العلمية والتطبيقية بين مباحث علم البيان وعلم المعاني على نحو ما فعل السكاكي في المفتاح .

وبعد هذا يجدر بنا أن نقول أن السكاكي هو أول من أطلق على الموضوعات التي تبحث في الصورة الأدبية -التشبيه والمجاز والكناية- مصطلح (علم البيان) كما سبق توضيحه ³.

2. تعريف البيان:

أ/لغة:

جاء في (لسان العرب) لابن منظور أن: البيان: ما تبين به الشيء من الدلالة وغيرها، وبأن الشيء بياننا: اتضح، فهو بين وأبنته: أي أوضحتها .

والبيان: الفصاحة واللسن، وكلام بين فصيح، البيان: افصاح مع الذكاء .

البيان: اظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من الفهم...وأصله الكشف والظهور .

علمه البيان: أي علمه القرآن الذي فيه بيان كل شيء ¹.

¹ عبد الفتاح لاشين، المرجع السابق .

² عبد الفتاح لاشين، المرجع السابق، ص 12-13.

³ نفسه ، ص 14.

والفيروز أبادي لم يذهب بعيدا عما قاله ابن منظور، فقد جاء في قاموسه (قاموس المحيط) ما يلي:

بان بيانا: اتضح فهو بين... وبينته وأبنته واستبنته: أوضحت وعرفته، فبان وبين وتبين وأبان واستبان، كلها لازمة متعدية، البيان أفصح مع ذكاء والبيان: الفصيح².

ونجد في معجم الوسيط نجد الشيء نفسه تقريبا حين ورد:

بان الشيء: بيانا: ظهر واتضح الشيء: أوضحه وأفصح عنه، فهو بائن وبين .

يقال: بأن صاحبه: فارقه وهجره .

أبان: ظهر واتضح، فلان: أفصح عما يريد .

بين: ظهر واتضح، ويقال: بين الشجر: بدا.

البيان: الحجة والمنطق الفصيح، والكلام بكشف عن حقيقة حال أو يحمل في طياته بلاغا³.

ونلاحظ أنّ المعنى اللغوي المشترك بين هذه المعاجم الثلاث هو: الوضوح والإبانة والكشف والظهور .

وفي قاموس (تاج العروس) جاء معنى البيان: هو وضوح المعنى وظهوره والتبيان: تفهيم المعنى⁴.

إنّ المتتبع للفظه البيان في القرآن الكريم يجدها قد ذكرت ثلاث مرات بهذه اللفظة (البيان) وهذه الآيات هي كالاتي حسب ترتيبها في القرآن الكريم:

يقول تعالى: ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ سورة ال عمران الآية (138).

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة بين، 2000، ج 13، ص6.

² الفيروز ابادي، قاموس المحيط، مادة بين، تقديم محمد عبد الرحمن مرعشلي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط2-2003م.

³ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة بين، شركة الإعلانات الشرقية، ط3، 1985م.

⁴ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج34، ص305.

وقوله أيضا: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾ سورة الرحمن الآيات (1-4).

ثم قوله: ﴿فَإِذَا قُلَّا لَهُ فَاتَّبِعْ ۖ قُلْ أَتَعْلَمُونَ ۚ ٨ ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا بَيَّأَهُ ١٩﴾ سورة القيامة الآيات (18-19).

كما وردت مادة (بين) ومشتقاتها مرات عديدة في القرآن من مثل (بين)، (البيانات)، (تبيان) (والمبين) وغيرها وكلها تدل على الوضوح والإبانة والكشف والظهور.

وإذا أخذنا على سبيل المثال لفظ البيان في القرآن في سورة الرحمن، وأردنا أن نضطلع أقوال بعض المفسرين فيه أو المحدثين سنجد أن المراد من البيان عند الرازي: (أنه المنطق أي أن الله علم الإنسان ما ينطق به وهذا إشارة تميزه بالعلم عن غيره) ¹.

وكذلك الألوسي يعتقد أن المراد من لفظ البيان هو: (المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير) ²، فالمنطق يعني عند كل من الرازي والألوسي النطق أي التلفظ باللسان، ويعني كذلك بناء قول ذي قيمة، وبهذا نميز الإنسان عن الحيوان بالكلام، فالكلام اختص بالبحث فيه تركيباً وإعراباً وبياناً كل من علم النحو وعلم البلاغة، والبلاغة كما هو معروف تشترط أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال، مع مراعاة ما ينبغي لكل مقام من مقال.

أمّا عائشة عبد الرحمن فتشير إلى أن المقصود من لفظ البيان في سورة الرحمن هو: "اختصاص الإنسان بالبيان يرتبط بهذه المعجزة البيانية للنبي العربي، وبها سائر الدين تطور البشرية، فكانت معجزة موسى مناسبة لعصر السحر، وكانت معجزة المسيح الخارقة للعادة هي دليل نبوته في عصر الأبطال الذي اقترن فيه البطولة بالخوارق، وبزغ عصر الإنسان فكانت معجزة خاتم الأنبياء هذا البيان الذي يخاطب الحس المرهف والضمير الحي والبصيرة الواعية" ³.

¹ الرازي، تفسير الكبير، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط3، ج29، ص85.

² الألوسي، روح المعاني، دار الفكر، بيروت، 1978م، ص99.

³ عائشة عبد الرحمن، القرآن وقضايا الانسان، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1978م، ص56.

إنّ فعائشة عبد الرحمان تريد القول أنّ نعمة البيان اختص بها العرب دون غيرهم، فقد نزل بلسان عربي مبين على قوم كانوا سادة في البلاغة، فإنّ هذه المعجزة جاءت كخاتمة لجميع المعجزات الحسية ومعجزة القرآن باقية إلى يوم الدين .

ب/اصطلاحاً:

تحدث كثير من العلماء عن مفهوم البيان وأنواع الدلالة على المعاني، وعما يحتاج البيان إلى تحصيله من ألوان المعرفة. ومن ذلك قول الجاحظ (قال بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، فالحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، ومجودة في معنى معدومة لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره¹ .

وعند بعض أصحاب الأصول البيان: عبارة عن إظهار المراد للمخاطب منفصلاً عما يستتر به، وهو الصحيح وقد يكون بالقول وقد يكون بالفعل، وفي الحديث النبوي الشريف قال صلى الله عليه وسلم "إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشعر لحكم"².

(إنّ من البيان لسحراً)، قال القاضي: البيان جمع الفصاحة في اللفظ والبلاغة باعتبار المعنى، والسحر في الأصل الصرف قال: فأنى تسحرون؟ وسمي السحر سحراً لأنّه مصروف عن جهته، والمراد به هنا من البيان ما يصرف قلوب السامعين³.

قال الجاحظ: "البيان هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السمع إلى حقيقته، لأنّ مدار الأمر والغاية يحوي القائل والسامع،

¹ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968م، ج1، ص54.

² البخاري، أبو عبد الله، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الجامع الصحيح، دار الشعب، القاهرة، ط1، ج7، ص178.

³ زين الدين محمد، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، ج2، ص525.

إنّما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع¹.

ويقول أيضا: (والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله جل جلاله يمدحه ويدعو إليه ويحث عليه بتلك نطق القرآن وبذلك تفاخر ترب وتفاضلت أصناف العجم)².

فالغاية عند الجاحظ هي الفهم والإفهام، فكل دلالة على المعنى سواء كانت من لفظ أم غيره، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان المقصود.

وموضوع علم البيان عند ابن الأثير هو الفصاحة والبلاغة، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية، وهو والنحوي يشتركان في أنّ النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة، والمراد بها أنّ يكون على هيئة مخصوصة من الحسن، وذلك أمر وراء النحو والإعراب، ألا ترى أنّ النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمتنور، ويعلم مواقع إعرابه، ومع ذلك فإنّه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة، ومن ههنا غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية، وتبيين مواضع الإعراب منها، دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة³. ويعرف صاحب (مفتاح العلوم) البيان بقوله: (وأما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحتترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه)⁴.

¹ الجاحظ، المرجع السابق، ج1، ص11.

² نفسه، ص82.

³ ضياء الدين ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق احمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج1، ص37.

⁴ يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي ابو يعقوب، مفتاح العلوم، تعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1-1987م، ج1، ص162.

وقال الرماني في تعريف البيان: الإحضار لما يظهر تمييز الشيء من غيره في الإدراك . فهو يرى أنَّ الكلام على وجهين: كلام يظهر به تمييز الشيء عن غيره، فهو بيان . وكلام لا يظهر به تمييز الشيء فليس ببيان، كالكلام الذي لا يفهم به معنى ¹ .

-وعرفه الجرجاني بقوله: عبارة عن إظهار المتكلم المراد للسامع ² .

-وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ³ .

-وهو علم يستطيع بمعرفته إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة، وتراكيب متفاوتة في وضوح الدلالة مع مطابقه كل منهما مقتضى الحال .

وتقييد الاختلاف بالوضوح لتخرج الألفاظ المترادفة كليث وأسد ⁴ .

3. حقيقة البيان:

البيان في حقيقته هو اسم جامع وشامل لكل ما أبان لك عن الأشياء، والمعاني دقيقها وخفيها وفق سنن العرب في كلامها، وعليه فكل ما خرج عن سنن العرب في كلامها لا يعد بياناً، وأنَّ صيغ بأفصح الألفاظ، كل هذا يجزنا إلى القول بعدم سعة ومنطقية وعلمية النظرة السائدة والمسلطة على البيان العربي اليوم . وهي -برأينا- نظرة ضيقة واسعا وألبست علينا الكثير من القضايا الخاصة بالبيان العربي، وحرمتنا من تذوق البيان العربي من معينه الصافي، وحصل ذلك حين صار البيان عندهم حدوداً وقيوداً لا ينبغي تجاوزها ولا تعديتها، لذا كان لزاماً علينا العودة إلى اللسان العربي وإلى القرآن الكريم وإلى الآراء ونظرات أهل الأصول وأئمة البلاغة والنحو واللغة، ليجمع الرأي ويلم بالمسألة إماماً تاماً غير منقوص، ثم لتلاحظ عن صواب ونستنتج عن حق ونقول بعدها عن بيئة ما يلي:

¹ الرماني أبو الحسن بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق وتعليق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط2، ص75.

² الجرجاني، شريف علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1-1983م، ص47.

³ حسين عبد الرزاق، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة الأزهرية للتراث، 2006م، ص282.

⁴ احمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، لبنان ط1-1980م، ص189.

- ❖ إنّ البيان أشمل من البلاغة دلالة ومعنى.
- ❖ إنّ البيان والبلاغة ليسا مترادفين، ولكل معناه الخاص به.
- ❖ إنّ الكثير من تعاريف البلاغة اليوم مجحفة، وخاصة تلك التي تعرفها بالإيجاز فقط، وهذا غلط.

❖ إنّ تقسيم البلاغة إلى معان وبيان وبديع قتل لروح البيان العربي واذهابا لرونقه وتعطيل لوظيفته علما وأنه وإلى اليوم مازال الخلاف حادا بين أهل البلاغة في شأن هذا التقسيم حتى صار لكل وجهة هي موليا لا تتفق بالضرورة مع الوجهة الثانية، لذا يقول عمار الساسي: ندعو إلى توحيد هذه الأقسام الثلاثة والمعروفة في علم البلاغة الحالي في علم واحد نسميه: (علم البيان الشامل) من غير فصل ولا تقسيم، فالمقامات والمناسبات – برأينا – هي التي تميز بين المعاني ومبانيها المركبة وهي التي تحدد بدقة لكل معنى مبنى وفوق هذا فالبيان لا يستقيم أمره على الذي عرضنا إلّا إذا سار وفق الوضع الذي يقتضيه علم النحو ويعمل على قوانينه وأسس وأصوله¹.

❖ ومن غير توخ لمعاني النحو فيما بين العلم لا يسمى البيان بيانا. وهذا يجزئنا ثانية إلى القول بتلازم العلاقة بين النحو والبيان العربي وضرورتهما².

❖ إنّ البيان هذا المفهوم الشامل هو القادر على التعامل مع القرآن الكريم في آياته المحكمات، وهو برأينا الأوفق والأصلح إلى التعمق في فقد آياته وسر أغوار إعجازه البياني.

ونكاد نجزم القول حسب رأي عمار الساسي – ومن غير تردد بأنّ الذي جعل صورة البلاغة ترتسم على غير تمام في عقولنا وصدورنا، وجعل أثارها تظهر في كلامنا العادي والفصيح، وفي كتاباتنا ودراساتنا العامة والمتخصصة، حتى كأننا لما وصلنا بعد إلى التفريق بين جملتي: (انطلق زيد) و(زيد انطلق) ومتى نستعمل هذه ومتى نستعمل الأخرى؟

وحتى كأننا لما نصل بعد إلى التمييز بين المفردتين مثل: (جاء) و(أتى) أو (جلس وقعد)، وهناك أثار أخرى لم نذكرها كالنقد والتأخير والفصل والوصل والذكر والحذف... الخ، هو

¹ عمار ساسي، إعجاز البياني في القرآن الكريم، ص 256.

² المرجع نفسه، ص 256 – بتصرف –.

هذا المفهوم السائد والمكرس للبلاغة في مفهومها الضيق وأقسامها في فصلها عن معاني النحو إلى اليوم.

ولا غرو إنّ قلنا بعد هذا كله أنّ أهل البيان اليوم هم بعداء عن حقيقة البيان. ونرى أنّ هذه الحقيقة للبيان الواسع لا تستقي إلاّ من معين اللسان العربي المبين، ومن عين القرآن الكريم ومن أثارها أئمة البلاغة والبيان العربي وأعمدتها وعلى رأسها الإمام عبد القاهر الجرجاني في مؤلفه: (الدلائل والأسرار) وكذلك في المؤلف التطبيقي العملي لجار الله الزمخشري والمسمى ب(الكشاف) وغيره ممن سار نهجه، وسلك سبيله، ونحسب أنّ هذه المصادر الصافية هي غائبة اليوم في جلها، إنّ لم نقل في كلها عن الساحة البلاغية والبيانية في مختلف دراساتها، لذلك ساد وانتشر المفهوم المعهود اليوم¹.

ومن هنا ومن خلال بحثنا المتواضع، نتمنى الرجوع إلى مصادر البيان العربي واستيعابها والتعامل الحسن مع كتاب الله المعجز كي نتذوقه ونحس بمعجزته الباهرة والتي جعلت أهل قريش وهم البلغاء والفصحاء يعترفون بقوته وإعجازه، وحتى وإنّ لم يفصح بعضهم عن ذلك فقد كان في قوارة نفسه يعلم ذلك.

وقد ذكر في السيرة أنّ عددا من صناديد قريش ووجهائها كانوا يتسللون في خفاء الليل ليسمعوا القرآن ممن نزل عليه القرآن صلى الله عليه وسلم، والخبر أنّ أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريف كان كل واحد منهم يأخذ نفسه خلسة لسماع القرآن في الليل والرسول عليه الصلاة والسلام في بيته لا يعلم مكانهم².

وفي السيرة أيضا أنّ الملاء من قريش بعثوا أحد صناديدهم وهو عتبة بن ربيعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم-ليعرض عليه امورا أرسلوه بها، فقرأ آيات من سورة فصلت، عاد بعدها إلى قريش مأخوذا، فما لمحوه حتى صاحوا: عاد ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به³.

² فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط5، 2007م، ص10.

³ عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن دراسة لغوية وقرآنية وبيانية ومسائل ابن الأزرقي، دار المعارف، القاهرة، ط3 ص47.

وغيرهم كثير وكثير، فمنهم من اهتدى مثل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بعد سماعه لآيات من القرآن الكريم، ومنهم من جحد وتكبر وكفر أمثال الوليد بن المغيرة أبو جهل وغيرهم .

(هو إذا سحر البيان لا سحر الكهان، وهو سحر العربية على وجدان العربي، وسلطانها في ملكته، وغلبتها على إرادته، واستبدادها بطبعه)¹.

4. أنواع البيان:

سنتناول في هذا المبحث أنواع البيان في القرآن، وعند علماء الأصول، وعند أهل البلاغة، غير أننا في سنركز على بعض الأجزاء منها فقط لأنها كثيرة وكثيرة جدا .

أ/أنواع البيان في القرآن الكريم :

إنّ من أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك بيان الاجمال الواقع بسبب اشتراك، سواء كان الاشتراك في اسم او فعل او حرف .

ومثال الإجمال بسبب الاشتراك في اسم قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ سورة البقرة الآية (228)، لأنّ القرء مشترك بين الطهر والحيض وقد أشار تعالى إلى أنّ المراد بأقراء العدة الإطهار بقوله: ﴿... فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ سورة الطلاق الآية(01)، فاللام للتوقيت ووقت الطلاق المأمور به فيه في الآية الطهر، لا الحيض، وتدل له قرينة زيادة التاء في قوله: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ لدلالاتها على تذكير المعداد وهو الاطهار، فلو أراد الحيضات لقال: ثلاث قروء بلا هاء، لأنّ العرب تقول: ثلاثة أطهار وثلاث حيضات².

¹ طه حسين، مرآة الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، ج2، ص81.

² محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، ج1، ص10.

ومثال الإجمال بسبب الاشتراك في فعل قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ سورة التكوير الآية (17)، فإنه مشترك بين إقبال الليل وإدباره وقد جاءت آية تؤيد أن معناه في الآية أدبر وهي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ وَ الصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ سورة المدثر الآية (33-34)، فيكون عَسَسَ في الآية بمعنى أدبر يطابق معنى آية المدثر هذه كما ترى¹.

ومثال الإجمال بسبب الاشتراك في حرف قوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ۖ﴾ سورة البقرة الآية (07)، فإن الواو في قوله: ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ﴾، محتملة للعطف على ما قبلها وللاستئناف ولكنه تعالى بين في سورة الجاثية أن قوله هنا: وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم، وأن قوله: وعلى أبصارهم غشاوة جملة مستأنفة مبتدأ وخبر، فيكون الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على خصوص الأبصار، الآية التي بين بها ذلك هي قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ۖ﴾ سورة الجاثية الآية (23)².

ومن أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك بيان الإجمال الواقع بسبب إبهام في اسم جنس جمعا كان أو مفردا، أو اسم جمع أو صلة موصول أو معنى حرف .

فمثال الإبهام في اسم جنس مجموع قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ سورة البقرة الآية (37)، فقد أبهمها هنا وذكرها في قوله تعالى في سورة الاعراف ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ سورة الاعراف الآية (23)³.

ومن أمثله في اسم جنس مفرد قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ سورة الاعراف الآية (137)، فقد أبهمها هنا وبينها بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝﴾ سورة القصص الآية (05) .

¹ المرجع نفسه، ص11.

² المرجع السابق، ص12.

³ المرجع نفسه، ص13.

ومثال الإجمال بسبب الإبهام في اسم جمع قوله تعالى في سورة الدخان: ﴿كَلِمَ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتْ وَعُيُونُ ٢٥ وَزُرُوعَ وَمَقَامَ كَرِيمٍ ٢٦ وَنَلْعَمَ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ ٢٧ كَذَلِكَ ۖ وَأَلَمَرْبَا رَبَّنَا ۖ فَتَأْتِي الْغَمَامُ ۖ قَلِيلًا مَّا ءَاخِرِينَ ٢٨﴾ سورة الدخان الآية (25-28)، فالقوم: اسم جمع وقد أبهمه هنا وكذلك قوله في الأعراف ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ﴾ سورة الأعراف الآية (137) "فإنه أبهم فيه القوم أيضا ولكنه بين في سورة الشعراء أن المراد بأولئك القوم بنو اسرائيل لقوله في القصة بعينها ﴿فَأَلْعَمَ رَبُّهُمْ مِّنْ جَنَّتْ وَعُيُونُ ٥٧ وَكُنُوزَ وَمَقَامَ كَرِيمٍ ٥٨ كَذَلِكَ ۖ وَأَلَمَرْبَا رَبَّنَا ۖ فَتَأْتِي الْغَمَامُ ۖ قَلِيلًا مَّا ءَاخِرِينَ ٥٩﴾ سورة الشعراء الآيات (57-59).

ومثال الإجمال بسبب الإبهام في صلة الموصول قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ سورة المائدة الآية (01)، فقد أبهم هنا هذا المتلو عليهم الذي هو صلة الموصول ولكنه بينه بقوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ سورة المائدة الآية (03)¹.

ومثال الإبهام في معنى حرف قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا...﴾ سورة المنافقون الآية (10)، فإن لفظة (من) فيه للتبويض ولكن هذا البعض المدلول عليه بحرف التبويض المأمور بإنفاقه مبهم هنا، وقد بينه تعالى بقوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ سورة البقرة الآية (215)، والعفو الزائد على الحاجة الضرورية².

ومن أنواع البيان في هذا الكتاب المبارك بيان الإجمال الواقع بسبب احتمال في مفسر الضمير وهو كثير ومن أمثله قوله تعالى في سورة العاديات: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ العاديات الآية (07)، فإن الضمير يحتمل أن يكون عائدا إلى الإنسان وأن يكون عائدا إلى رب الإنسان المذكور في قوله ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ سورة العاديات (06)، ولكن النظم الكريم يدل على عوده إلى الإنسان وإن كان هو الأول في اللفظ بدليل قوله بعده: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ العاديات (08)، فإنه للإنسان بلا نزاع، وتفريق الضمائر يجعل الأول للرب والثاني للإنسان لا يليق بالنظم الكريم .

¹ محمد الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، ص 15.

² المرجع السابق، ص 16.

ومن أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك أن يذكر شيء في موضع ثم يقع سؤال عنه وجواب في موضع آخر كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة (01)، فإنه لم يبين هنا ما المراد بالعالمين ولكنه وقع سؤال عنهم وجواب في موضع آخر، وهو قوله تعالى ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ آلِ عَالَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٤﴾ سورة الشعراء الآيات (23-24)، وسؤال فرعون هذا -لعنة الله- وإن كان في الأصل عن الرب جل وعلا، فقد دخل فيه الجواب عن المراد بالعالمين كما ترى¹.

ومن أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك أن يكون الظاهر المتبادر من الآية بحسب الواضع اللغوي غير مراد، بدليل قرأني آخر على أن المراد غيره ومثاله قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ سورة البقرة الآية (229)، فإن ظاهره المتبادر منه أن الطلاق كله محصور في المرتين، ولكنه تعالى بين أن المراد بالمحصور في المرتين خصوص الطلاق الذي تملك بعده الرجعة بقوله ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَتَكَحَّ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ سورة البقرة الآية (230).

ومن أنواع البيان التي تضمنها هذا الكتاب المبارك أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً، ويكون في نفس الآية قرينة تدل على بطلان ذلك القول، ومثاله قول أبي حنيفة -رحمه الله- أن المسلم يقتل بالكافر الذمي مثلاً قائلاً أن ذلك يفيد عموم النفس بالنفس في قوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ سورة المائدة الآية (45)، فإن قوله تعالى في آخر الآية ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ سورة المائدة الآية (45) قرينة على عدم دخول الكافر، لأن صدقته لا تكفر عنه شيئاً إذ لا تنفع الأعمال الصالحة مع الكفر².

ومن أنواع البيان التي تضمنها أيضاً أن يذكر وقوع شيء في القرآن، ثم يذكر في محل آخر كيفية وقوعه كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ سورة البقرة الآية (51)، فإن لم يبين هنا كيفية الوعد بها هل كانت مجتمعة أو مفرقة؟ ولكنه بينها في الأعراف بقوله: ﴿وَوَاَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (142) سورة الأعراف (142).

² المرجع السابق، ص 18.

ب/أنواع البيان عند الأصوليين:

البيان عند الأصوليين أنواع أشهرها وهو المتفق عليه:

1. بيان التقرير:

هو تأكيد الكلام بما يقطع احتمال المجاز، إنَّ كان المراد بالكلام المؤكد حقيقة أو بما يقطع احتمال الخصوص، إنَّ كان المؤكد عاما. قال الإمام البزدوي: أمَّا بيان التقرير فتفسيره أنَّ كل حقيقة تحتل المجاز أو عام يحتمل الخصوص، إذا الحق به ما يقطع الاحتمال فهو بيان تقرير، فمن الأول ما يقطع احتمال المجاز لفظ: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ من قوله جل وعلا ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ (38) سورة الأنعام الآية (38)، فإنَّ الطائر في الآية يحتمل أنَّ يستعمل في حقيقته استعمالا مجازيا، ذلك أنَّ العرب تستعمل الطيران لغير الطائر، فيقال للبريد الطائر مجازا لأنَّه يسرع في مشيه، كما يقال فلان يطير بهمته، وتقول للرجل طر في حاجتي أي أسرع، فيكون قوله تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ "تقريراً لموجب الحقيقة وقطعا لاحتمال المجاز. فالمراد بالطائر حقيقة الطائر المعروف، وقد قطع احتمال المجاز، فكان بيان تقرير¹.

ومن الثاني وهو ما يقطع احتمال الخصوص لفظ ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ سورة الحجر الآية (30)، فإنَّ لفظ الملائكة لفظ عام يشمل جميع الملائكة ويحتمل الخصوص بأنَّ يكون المراد بعضهم فقطع هذا الاحتمال قوله تعالى ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فكان ذلك بيانا قاطعا للاحتمال وذلك أيضا بيان تقرير .

2. بيان التغيير:

وهو البيان الذي فيه تغيير لموجب اللفظ من المعنى الظاهر إلى غيره، قال مثلا خسروا: (وحقيقة بيان أنَّ الحكم لا يتناول بعض ما يتناوله لفظه، فوجب أنَّ يتوقف أول الكلام عن آخره حتى يصير المجموع كلاما واحدا لئلا يلزم التناقض).

¹ عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دراسة نظرية للإعجاز البياني في الآيات المحكمات، دار المعارف

وذلك كالتعليق بالشرط المؤخر في الذكر، كما في قول الرجل لامرأته أنت طالق إن دخلت الدار¹.

وكالاستثناء وذلك كما في قوله: لفلان على ألف إلا مائة فلولا الشرط في قوله: إن دخلت الدار لوقع الطلاق، ولولا الاستثناء في قوله إلا مائة بعد ذكر الألف لكان الواجب عليه ألفاً، فبالإتيان بالشرط صار الطلاق معلقاً، وبذكر الاستثناء تغير وجوب المائة في ذمته بعد إن كان الكلام يقتضي وجوب الألف .

وقد قرر العلماء أننا تسمية التعليق والاستثناء ونحوهما بيانا مجازاً لأن الشرط في قوله: (إن دخلت الدار) يبطل كون الكلام إيقاعاً، ويصير يمينا والاستثناء في قوله (ألف إلا مائة) يبطل الكلام في حق المائة، إلا أن في التعليق يبطل الكلام كله، وفي الاستثناء يبطل بعضه فالإبطال لا يكون بيانا حقيقة ولكنه مجاز من حيث أنه يبين أن الرجل يحلف ولا يطلق في التعليق، وأن عليه تسعمائة لا ألفاً في الاستثناء².

3. بيان التبديل:

وهو النسخ عرفه الكثيرون بأنه (بيان انتهاء حكم شرعي بدليل شرعي متراخ عنه) ، ويعتبر النسخ من أوجه البيان، لأنه بيان انتهاء مدة الحكم، ومن العلماء لابي زيد الدبوسي والإمام السرخسي من يعتبر التعليق بالشرط هو بيان التبديل، ولا يعد النسخ من البيان، ولقد أنبنى هذا القول على أن النسخ رفع للحكم لا اظهار للحكم، فحد النسخ غير حد البيان، نظراً إلى أن النسخ وإن كان بيان انتهاء مدة الحكم، لكن ذلك كائن في حق صاحب الشرع، فأما في حق العباد فهو رفع الحكم الثابت، وتبديله بحكم آخر على ما كان معلوماً عندهم لو لم ينزل الناسخ، قالوا وذلك بمنزلة القتل فهو انتهاء الأجل في حق صاحب الشرع وقطع الحياة في حق العباد³.

4. بيان الضرورة:

¹ نفسه، ص 199.

² المرجع السابق، نفس الصفحة.

³ المرجع نفسه ، ص 200.

ويعنون به البيان بسبب الضرورة، وهي نوع من إضافة الشيء إلى سببه، وهو كما قال الإمام السرخسي نوع من البيان يحصل بغير ما وضع له الأصل، وبيان الضرورة عند القائلين به أربعة أنواع:

أ- ما يكون في حكم المنطوق، وذلك بأن يدل النطق على حكم المسكوت عنه لكونه لازماً لمزوم مذكور وقد مثلوا له بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ سورة النساء الآية (11)، فإن قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ في صدر الكلام أوجب الشركة في الميراث من غير بيان نصيب كل من الأبوين، وتخصيص الأم بالثلث في قوله "لأمة الثلث" صار بيانا لاستحقاق الأب للباقي من التركة وهو الثلثان، إذ أن صدر الكلام مسوق لبيان نصيب كل من الأب والأم. وبذلك صار نصيب الأب كالمنصوص عليه عند ذكر الأم، كآته قيل فلأمة الثلث ولأبيه ما بقي، لأنه اثبات التركة -كما قالوا- على وجه الاختصاص بالتركتين، وتعيين نصيب أحدهما لنصيب الآخر بالضرورة. وهكذا لم يحصل البيان بمجرد ترك التنصيص على نصيب الأب، بل بدلالة صدر الكلام، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ إذ صار نصيب الأب لذلك كالمنصوص عليه¹.

ب- البيان بدلالة حال الساكت الذي وظيفته البيان أو من شأنه التكلم في الحادثة بسبب سكوته عند الحاجة إلى البيان. لأن البيان واجب عند الحاجة إليه، وذلك كسكوت صاحب الشرع عن أمر يعاينه من قول أو فعل عن التغيير.

ومن هذا البيان سكوت الصحابة عن أمر يفتي به عالم منهم، فقد جعل سكوتهم بيانا لسلامة الفتوى التي صدرت من ذلك الصحابي، فسكوتهم عن البيان بيان.

ج- دلالة السكوت الذي جعل بيان لضرورة دفع وقوع الناس في الغرور، وقد مثلوا له بسكوت المولى إذا رأى عبده يبيع ويشترى، فإن سكوته عن النهي يجعل -كما يقول الإمام السرخسي- إننا له في التجارة لضرورة دفع الغرور عن أولئك الذين يعاملون العبد، فإن الناس لا يتمكنون من استطلاع رأي المولى في كل معاملة مع عبده، وإنما يتمكنون من التصرف بمراى العين من المولى، ويستدلون بسكوته على رضاه وهكذا جعل سكوته كالتصريح بالإذن

¹ عمار ساسي، المرجع السابق، ص201.

د- ما يثبت ضرورة اختصار الكلام: ومثاله عند الحنفية ما إذا قال: لفلان على مائة ودرهم أو مائة ودينار فإنّ ذلك بيان أنّ المعطوف وهو الدرهم أو الدينار من جنس المعطوف عليه وهو المائة فيكون لفظ درهم و دينار تفسيراً لمائة في قوله: مائة درهم أو مائة دينار، إذ كل من الدرهم والدينار بين بنفسه ومثل البين بنفسه المقدرات الشرعية كالكيل والموزون. هذا ما ذهب إليه الحنفية وخالف في ذلك الشافعية فلم يعتبروا المعطوف بيانا للمعطوف عليه في كل من الحالتين السابقتين، لأنّ العطف يقتضي المغايرة فالمائة مبهمة والعطف لم يوضع للتفسير، فيعود تفسير هذا المبهم للمبهم نفسه، وهكذا يلزم المقر بالمعطوف ويكون القول قوله في المعطوف عليه¹.

5. بيان التفسير:

هو بيان ما فيه خفاء، وقد مثلوا لما فيه خفاء بالمشترك والمجمل والمشكل والخفي، فالمشترك: هو اللفظ الذي وضع لمعنيين مختلفين أو معاني مختلفة بأوضاع متعددة، والمجمل: هو الذي خفي في ذاته خفاء لا يدرك إلاّ ببيان من المجمل نفسه. وهذا عند الحنفية ويرى الشافعية وغيرهم، أنّ من المجمل ما يمكن أن يكون بيانه من طريق المجتهد بالبحث والاجتهاد، أمّا المشكل فهو اللفظ الذي خفي من ذاته خفاء يمكن زواله بالاجتهاد، أمّا الخفي: فهو اللفظ الظاهر فيما وضع له، ولكنه عرض له الخفاء عند التطبيق فخفاؤه ليس من ذاته ولكن بعارض، وهكذا يكون سبب الغموض والخفاء في النص وجود لفظ فيه مشترك بين معنيين أو أكثر ولم يعلم عن الشارع تعيين الواحد في المعنيين، أو المعاني التي وضع لها اللفظ يبدو ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ سورة البقرة الآية (237).

﴿الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ مشترك بين الزوج والولي، وقد اختلفت أنظار العلماء في المراد منه في الآية الكريمة وكانوا في ذلك على مذاهب عند تفسير النص².

¹ المرجع نفسه، ص 202.

² المرجع السابق، ص 203.

ومن تصنيف الأصوليين هذا نلاحظ أنَّ البيان ثابت في دلالته على الوضوح والكشف عما خفي من الأشياء والأمور، وما التقرير والتغيير والتبديل والتفسير والضرورة إلّا وسائل متباينة تؤدي غرضا واحدا هو البيان في مفهومه الواسع والشامل.

ج/البيان عند أهل البلاغة (البلاغيين) :

1.البيان عند ابي عثمان الجاحظ:

هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي، فكل دلالة على المعنى عنده بيان، لأنَّ الغاية هي الفهم والإفهام، وجميع أصناف الدلالات عنده خمسة من لفظ وغير لفظ .

1. أمّا الدلالة باللفظ فهي ما يتميز به الانسان عن سائر الحيوانات .
2. أمّا الدلالة بالإشارة فهي باليد والرأس وبالعين والحاجب إذا تباعد الشخصان .
3. أمّا الدلالة بالخط فلقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَرْمِي ۙ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۚ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَلْعَلَمْ ۚ ٥ ﴾ سورة العلق الآيات (3-5).
4. أمّا الدلالة بالعقد فهو الحساب دون اللفظ والخط لقوله تعالى: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۖ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ سورة الأنعام الآيات (96).

5. أمّا الدلالة بالنسبة فهي الحال الناطقة لغير اللفظ .المشييرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، ولذلك قال الأوّل سل الأرض فقل من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك ؟ فإنّ لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا ¹.

2.البيان عند ابي الحسين اسحاق بن ابراهيم بن وهب:

ألف كتاب سماه (البرهان في وجوه البيان) حيث جعل البيان عنده على أربعة أوجه:

أ/بيان الاعتبار:

وهو بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبني بلغاتها. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ سورة الحجر الآية (75).

¹ عمار ساسی، المرجع سابق ، ص163.

ب/بيان الاعتقاد:

الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكرة واللب وهو ثمرة البيان الأول لأنّ بيان الاعتبار إذا حصل المتفكر صار عالما بمعاني الأشياء وكان يعتقد من ذلك بيانا ثانيا غير ذلك البيان وخص باسم الاعتقاد وهذا البيان على ثلاثة أضرب: فمنه حق لا شبهة فيه، ومنه علم مشتبّه يحتاج إلى تقويته للاحتجاج فيه ومنه باطل لاشك فيه .

ج/بيان العبارة:

الذي هو نطق باللسان لما كان يعتقد الإنسان يحصل في نفسه غير معتد له إلى غيره واللسان هو ترجمان اللب ويريد قلب والمبين عن الاعتقاد بالصحة أو الفساد، وفيه الجمال.

د/البيان بالكتاب:

الذي يبلغ من بعد أو غاب لما علم الله تعالى أنّ بيان اللسان على الشاهد دون الغائب وعلى الحاضر دون الغابر، وأراد تعالى أنّ يعم النفع في البيان جميعا أصناف العباد وسائر أفاق البلاد، وأنّ يساوي فيه بين الماضين من خلقه والآتين والأولين والأخريين¹.

3.البيان عند الرماني:

وهو عنده الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره، وأقسامه عنده أربعة: كلام حال -إشارة- علامة والكلام على وجهين، كلام يظهر به تميز الشيء، فليس ببيان كالكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم به المعنى وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن، وليس بحسن أنّ يطلق اسم بيان على ما قبّح من الكلام لأنّ الله مدح البيان واعتد به، فقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۙ ۱ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ ۲ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ ۳ عَلَّمَهُ الْكِتَابَ ۚ ۴﴾ سورة الرحمن(1-4)².

علم البيان عند علماء البلاغة عامة: (هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه) ومن الأمثلة التي ترد كثيرا في التمثيل للطرق المختلفة في باب الكناية أنّ يقال في وصف زيد بالجود مثلا: (زيد مهزول الفصيل) و(زيد كثير الرماد) فهذه

¹ المرجع السابق ، ص164.

² عمار ساسي، المرجع السابق، ص 165.

التركيب تفيد وصفه بالجود على طريق الكناية لأنّ هزال الفصيل كما يقولون إنّما يكون بإعطاء لبن امه للأضياف، وكثرة الرماد من كثرة الإحراق للطباخ من كثرة الأضياف، ومثال الاستعارة بطرق مختلفة أنّ يقال في وصف الرجل بالجود (رأيت بحرا في الدار) في الاستعارة الحقيقية، ويقال طم زيد بالإنعام جميع الأنام في الاستعارة بالكناية لأنّ الطموم وهو العمر بالماء من وصف البحر فدل على أنّه أضمر تشبيهه بالبحر في النفس، ومثال التشبيه أنّ يقال زيد كالبحر في السخاء وزيد بحر وأظهرها ما صرح فيه بالوجه وأخفاها وهو أوكدها ما حذف فيه الوجه والأداة معا، فيخاطب بكل من هذه الأوجه في هذه الأبواب بما يناسب المقام من الخفاء والوضوح يعرف ذلك بهذا الفن ¹.

تناول البيان مواضيع متنوعة، ولكنّا نستقصر في بحثنا المتواضع هذا على: التكرار، التقديم والتأخير، الذكر والحذف، التصوير الفني، المتشابه اللفظي .

5. طرق ووسائل الإعجاز البياني:

من خلال تتبعنا ودراستنا للإعجاز البياني في القرآن الكريم لاحظنا بأنّ أغلب الدارسين يعتمدون على العناصر التالية: المتشابه اللفظي، التكرار، الذكر والحذف، التقديم والتأخير، التصوير الفني، الفصل والوصل .

1. المتشابه اللفظي:

أ/لغة:

إنّ المتصفح لابن منظور في كتابه لسان العرب يلاحظ عدة معان تتداخل معظمها في ما بينها فيقول مفصلا: (تشابه الشيان أشبه كل واحد منهما صاحبه، والمتشبهات من الأمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات، وأمور مشتبهة مشكلة يشبه بعضها بعضا) .

نلاحظ أنّ التعبير في حروف الزيادة في الصيغة الفعلية لكلمتي شبه وتشابه أدّى إلى تغيير في المعنى .

وأما ابن فارس (ت395هـ) فيحلل الأصل اللغوي لكلمة المتشابه والمشتقة من الجذر اللغوي شبه قائلا (الشين والباء والهاء يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا وصفة) .

¹المرجع نفسه، ص 166.

ب/اصطلاحا:

اختلف العلماء حول وضع تعريف اصطلاحى واحد، وجامع لمفردة المتشابه فنجد في الكتاب الواحد عدة تعريفات للمتشابه فيما بينها .

فالشريف الجرجاني يقول: (وهو ما خفي بنفس اللفظ ولا يرجى دركه أصلا) ، يعني احيانا الاتفاق في البناء اللفظي يؤدي إلى صعوبة في المعنى "الالتباس" .

ويقول أيضا (المتشابه في المأ أن تكون أجزأؤه متفقة الطبائع) .

ومن خلال عرضنا لهذه التعاريف اللغوية والاصطلاحية تخلص القول إلى أن المتشابه يحمل معان متنوعة منها: الالتباس والغموض والخفاء والمشكل والمحتمل .

ج/علم متشابه القرآن :

كان هذا العلم نوعا من أنواع علوم القرآن وفرعا منه، وهذا في بداياته الأولى ومن بينهم الزركشي (ت794هـ) في كتابه "البرهان في علوم القرآن" والذي جعله صنفا من أصناف علوم القرآن حيث قال (الصنف الخامس علم المتشابه وقد صنف فيه جماعة)¹.

وفرق الزركشي بين هذا النوع وما يقابله من المتشابه والمحكم فعدا هذا الأخير نوعا مستقلا من علم متشابه القرآن فيقول: (النوع السادس والثلاثون المحكم والمتشابه)².

والمتشابه اللفظي في القرآن اختلف العلماء قديما وحديثا في تحديد مواضعه فمنهم من اعتبر علم متشابه الألفاظ في القرآن ذلك الذي يدرس (ما اشتبهت الألفاظ به من قصص عند التكرير في السور)³.

وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية (728هـ) والشيء نفسه عند كل من السيوطي والكفوي (1093هـ) ، أما ابن عقيلة (1150هـ) فيوسع مفهوم علم متشابه القرآن إذ جعله متعلقا

¹ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر، بيروت، ط3، 1980، ج1، ص112.

² المصدر نفسه، ج2، ص68.

³ ابن تيمية، الإكليل في المتشابه والتأويل، دار الايمان للطبع والنشر والتوزيع، ص3.

بالآيات المتشابهات والمتقاربات فيقول (ما تشابه من الآيات وما قرب بعضها بعضاً، ويكون بزيادة أو نقصان يدركها أصل الفهم الثاقب)¹.

ولم تختلف التعريفات الحديثة للمتشابه اللفظي عما ذكرت في الكتب القديمة فنجد محمد على الصامل مثلاً-في كتابه: (من بلاغة المتشابه اللفظي) يطلق علم متشابه القرآن على: (تلك الآيات التي وردت بألفاظ مثقفة ومتقاربة وقع في بعضها زيادة في موضع ونقص في موضع آخر، أو تقديم وتأخير وتعريف وتتكير وجمع أو أفراد أو إبدال الحرف مكان حرف وكلمة مكان كلمة)².

وسنكتفي بذكر مثال واحد نظراً لتنوع هذا الموضوع وتشعبه (أما ما ورد في سورتي الأعراف وطه تصريح بفعل الوسوسة في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ سورة الأعراف الآية(20)، وفي قوله: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ سورة طه الآية(120)، فمعلوم أنّ معنى الوسوسة هو إلغاء الكلام الخافت في النفس³.

ومواضع التشابه اللفظي في القرآن الكريم كثيرة جداً وسنحاول التطرق إليها في الجانب التطبيقي مع سورة الرحمن .

2. التكرار:

أ/ لغة:

أصله الكر، بمعنى الرجوع، ويأتي بمعنى الإعادة والعطف، فكرر الشيء وكرره أي: أعاده مرة بعد أخرى، وقد يأتي له تصريح آخر هو: التكرير، الكر: الرجوع، يقال: كررت الشيء تكريراً وتكراراً⁴.

فالتكرار بهذا هو الإعادة والترداد مرة بعد مرة.

¹ ابن عقيلة، الزيادة والاحسان في علوم القرآن، جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، 2006م، ج6، ص336.

² محمد علي الصامل، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص11.

³ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ج2، ص384.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد1، ص46.

ب/اصطلاحاً:

وهو إعادة اللفظ نفسه في سياق واحد ولمعنى واحد ¹.

وعرفه ابن معصوم بقوله: "هو عبارة عن تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى" ².

ومن التعريف اللغوي والاصطلاحي للتكرار نستخلص أنه إعادة لحرف أو اللفظة أو لجملة معينة لغرض الإفهام أو التأكيد أو لأغراض أخرى حسب سياق الكلام .

ج/القرآن الكريم وظاهرة التكرار:

القرآن هو كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل عليه السلام فهو يمثل المعجزة الخالدة والمستمرة إلى يومنا هذا وما ظاهرة التكرار التي ندرسها اليوم إلا نوعاً من أنواعها، ذلك أن كل كلام يتكرر يتقل ويسقط، أما التكرار الذي وقع في مواضيع مختلفة من القرآن كان نغماً جديداً من أنغام الحس الرائع، أضيف إلى ذلك تلك الأنغام السارية فيه كله ³، حتى أن الفصحاء والبلغاء من العرب كانوا يخشونه ويبتعدون عنه، لأنه يؤدي إلى سقوط أسلوبهم وفساد المعنى، على عكس وروده في القرآن الكريم حيث كان أسلوبه جديداً للتمكن من الدعوة الإسلامية إضافة إلى الأساليب الأخرى كالإنشاء والنفي والاستثناء..حتى إن أشد أعداء رسول الله كانوا يتسللون ليلاً فرادى إلى جدار بيته عليه السلام ليستمعوا إليه وهو يتلو القرآن فكشف أمرهم بعدها وظلوا يكررون المرة ثلاث ليالي واتفقوا في الأخير على مراقبة بعضهم بعضاً خشية أن يؤدي بهم سماع القرآن إلى الإيمان واتباع محمد صلوات الله عليه وسلامه ⁴.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تأثير القرآن على نفسية البشر وحتى المشركين والكفار منهم، كما أثبتت الدراسات الحديثة أن القرآن الكريم يؤثر بالإيجاب على نمو النبات.

¹ فضل عباس، القصص القرآن ي إحياءه ونفحاته، دار الفرقان، عمان، ط1، 1987م، ص19.

² فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، دار فارس للنشر، الأردن، ط1، 2004، ص21.

³ عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسة السابقين، دار الفكر العربي، المغرب، ط1، 1974م، ص395.

⁴ محمد صالح الصديق، البيان في علوم القرآن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986م، ص257.

لذلك نجد أنَّ التكرار قد ورد محكما في كلامه عز وجل ولكون هذه الظاهرة جد بارزة في القرآن الكريم فقد تعرض لها المفسرون والبلاغيون وبينوا جزءا من أبعادها ودلالاتها على اختلاف مواقعها كما حاولوا التعرف على محاورها وأنماطها المتمثلة في تكرار حروف وكلمات، وتكرار جمل وآيات، وكذا تكرار قصص وأنباء وغيرها.....

لذلك فإنَّ هذا الأخير قد يكون بتكرير جملة مرتين¹، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَلَعْلَمُونَ ۚ ثُمَّ كَلَّا سَيَلَعْلَمُونَ ۚ ٥﴾ سورة النبأ الآية(4-5)، كررت الآية مرتين لأنَّه سبحانه في مقام وعيد، وهذا ما استدعى التكرار أو بتكرار جملة بعينها²، حيث تعاد مجموعة من الكلمات المركبة أكثر من مرة، وهذا ما حدث في سورة الرحمن والتي سنتناولها بالتحليل والتفسير لاحقا.

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ سورة المطففين الآية(10) .

تكررت أحد عشر مرة في سورة المرسلات، وكانت آية مستقلة من بين الآيات الثلاثة وخمسون للسورة، إذا امتد هذا التكرار لينظمها من بدايتها إلى نهايتها في شكل سلسلة. ويكون أيضا تكرار اللفظ³ وهو من الظواهر التي تنتم بها اللغات عامة، واللغة عربية على وجه الخصوص.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ حَاقَّةٌ ۙ ١ مَآ أَلَمْ حَاقَّةٌ ۙ ٢ وَمَآ أَلَمْ رَبَّكَ مَا أَلَمْ حَاقَّةٌ ۙ ٣﴾.سورة الحاقة الآيات (1-3)، أريد بهذا التكرار التذكير بيوم الدين.

د/أنواع التكرار:

اختلف البلاغيون في تقسيمهم لأنواع التكرار فمنهم من رأى أنَّ له أربعة أقسام أمثال ابن قتيبة والقاضي عبد الجبار¹، ورأي محمود السيد شيخون أنَّه ستة أنواع تتدرج ضمن المفيد منها وغير المفيد².

¹ طالب اسماعيل وعمران فيتور، قراءة جديدة لنظام التكرار في البناء الصوتي للإعجاز القرآني، دار زهران للنشر

والتوزيع، ط1، 1987م، ص108.

² نفسه، ص153.

³ المرجع السابق، ص120.

لذلك يمكننا رد هذه الاختلافات القائمة بين العلماء إلى الاتجاهات والمسالك العديدة التي تتبعها كل واحد منهم.

✓ تكرار مفيد:

تكون له غاية ايجابية يستفيد منها المتلقي³، بمعنى أنّ له فائدة وليس لازم الفائدة.

أ-يوجد في اللفظ والمعنى، ويدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان. حيث تأتي الألفاظ في مواقع مختلفة من الكلام ذاتها من حيث البناء الصوتي والمعنى الدلالي بيد أنّ هذا الاختلاف يكمن في الغرض المراد من هذا التكرار الذي يتنوع حسب سياق الكلام ومن شواهد قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ⁷﴾، ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ⁸﴾ سورة الأنفال الآية(7-8).

تكرر لفظ "يحق الحق" مرتين في الآيتين الكريمتين وهو متفق في اللفظ والمعنى، غير أنّه مختلف في الغرض، فالأول أراد بها التقرير أما الثانية فكانت للتوبيخ .

ب-تكرار يوجد في اللفظ والمعنى دال على معنى واحد، والمقصود به غرض واحد⁴.

وهو النوع الأكثر استعمالا حتى أننا إذا أردنا تكرار كلمة أو جملة ما كانت لهدف واحد قد يكون تنبيها أو تأكيدا أو غيرها....

قال تعالى: ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق، وما الله يريد ظلما للعالمين، والله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور﴾ سورة آل عمران (108-109).

نلاحظ أنّ اسم "الله" قد تكرر ثلاث مرات وجاء منسجما في الآية دالا على الطمأنينة والرحمة في نفوس العباد غرضه التقرير.

¹ مصطفى ابو شوارب ومحمود المصري، اثر المتكلمين في تطور الذري البلاغي، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، ط1،

2006، ص91.

² محمود السيد شيخون، اسرار التكرار في لغة القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1983م، ص96

³ نفسه، ص96.

⁴ محمود السيد شيخون، نفس المرجع، ص97.

ج-تكرار يوجد في المعنى ويختلف في اللفظ، دال على معنيين مختلفين¹.

ويستعمل هذا النوع من التكرار في أغلب الأحيان لتوسع الكلام والزيادة فيه لفهم المعنى وتوضيحه أكثر.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة ال عمران الآية (104).

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخلان في الدعوة إلى الخير، فتكراره عز وجل لهاته الجمل كان لغرض النصح والإرشاد وهذا لما الأمر الناس إلى اتباع طريق الهدى ونهيهم عن الأمور التي تغضبه جل وعلا.

د-تكرار نجده في المعنى دون اللفظ ويدل على هذا معنى واحد يدل على فصاحة المتكلم وبلاغته وفهمه الأمور².

ومثاله قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سورة التغابن، الآية(14).

فقد كرر سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة صفاته وخصاله المختلفة المتمثلة في العفو والصفح والمغفرة الدالة على تسامح العباد مع بعضهم البعض، كيف لا وهو الغفور الرحيم بهم .

✓ تكرار غير مفيد:

أي أنه معيب لا فائدة منه³. وهو من عوامل سقوط الأسلوب وانحطاطه .

أ-يوجد في اللفظ والمعنى وتكون فيها الألفاظ عينها والمدلول واحد.

ب-تكرار يتفق في المعنى دون اللفظ وتكون فيه الألفاظ متغايرة والمدلول واحد، غير أن معناه ركيك لا فائدة منه¹.

¹ المرجع نفسه، ص97.

² المرجع السابق، ص 98.

³ المرجع نفسه، ص99.

3.الذكر و الحذف:

أولاً: الذكر.

أ/ لغة:

يقال ذكر الشيء ذكراً، وذكر، وذكرى، وتذكّراً أي حفظه واستحضره وجرى على لسانه بعد نسيانه وأعلمه ولم يضيعه وأظهره وأعلنه، ومنه الذاكرة، أي استنكار المعلوم في الذهن وهذا ما جاء في المعجم الوسيط .

أمّا ما جاء في مختار الصحاح: ومنه الذكرة أي ضد النسيان، والذكر الصيت والثناء والتذكرة، ما تستذكر به الحاجة. وعلى هذا الأساس دارت معاني الذكر، وتراوحت مرادفاته فهو الإظهار والإعلان وهو مدعاة للمحذوف وبه يعلم ويعرف ويدرك المحذوف، فهو واسطة له وجسر له ودليل عليه².

ب/اصطلاحاً:

لا يبعد المعنى الاصطلاحي كثيراً عن المعنى اللغوي، فهو في اصطلاح البلاغيين ما تقوم عليه القرينة وهو الأصل في الكلام لما يضيفه من تثبيت للمعنى وتوطيد له في النفس ويكون في ذكره فضلاً عن ذلك، معان لا تستفاد إذا حذف، هكذا اتفق المعنيان وتجاوبا معاً. وإذا أريد إفادة السامع حكماً، فأى لفظ يدل على معنى فيه فالأصل ذكره، وأى لفظ علم من الكلام لدلالة باقية عليه، فالأصل وإذا تعارض هذان حذفه الأصلان، فلا يعدل عن مقتضى أحدهما إلى مقتضى الآخر إلاّ لداع .

ج/دواعي الذكر³:

¹ نفسه، ص 100.

² مقال للدكتور: محمد سعيد محفوظ، قراءات نقدية في ماهية بلاغة الذكر والحذف، صحيفة المثقف، العدد: الأربعاء

21، المصادق: 5342-04-2021م(مأخوذ من الأنترنت) .

³ شبكة الألوكة، مقال عنوانه: الذكر والحذف في البلاغة، 20-10-2015م، محمد بن صالح العثيمين -تحقيق: الأستاذ

أشرف بن يوسف، (جزء من مقال) .

1. زيادة التقرير والإيضاح نحو ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .
سورة البقرة الآية (05).

2. التسجيل على السامع: حتى لا يأتي له الإنكار، كما إذا قال الحاكم للشاهد هل أقر زيد هذا بأن عليه كذا ؟ فيقول الشاهد: نعم زيد هذا أقر بأن عليه كذا .

اعلم رحمك الله - أن الأصل فيما يراد إفهامه، الذكر لأن المحذوف الأصل فيه عدم العلم، وإذا كان ذكر الشيء لا فائدة منه، فالأصل ولا يذكر الحذف إلا لفائدة، يعني إذا كان معلوماً من السياق، فالأصل حذفه ولا يذكر إلا لفائدة، وذلك لأن ذكره مع العلم به تطويل بلا فائدة. فإذا تعارض هذا وهذا فإن الأصل ذكر ما يحتاج إلى ذكر، وحذف ما يحتاج إلى حذف¹.

ثانياً/ الحذف.

أ/لغة:

جاء في كتاب العين للفراهيدي (ت170هـ) ما يلي:

(الحذف قطف الشيء من الطرف كما يحذف طرف ذنب الشاة) .

أمّا الزمخشري(ت538هـ) فقال: (أنّ الحذف هو القطع والرمي، ومنه حذف ذنب فرسه إذا قطع طرفه ... وحذف رأسه بالسيف: ضربه فقطع منه قطعة وحذف الأرنب بالعصا: رماها بها، والحذف بالعصا)

وجاء في محيط اللغة: (الحذف: قطع الشيء من الطرف، كحذف ذنب الدابة، والحذف الرمي عن جانب والضرب عن جانب، حذفه بالسيف يحذفه حذفاً وحذفني فلان بجائزة أي وصلني) .

وجاء في لسان العرب في باب "حذف" أن: "حذف الشيء يحذفه حذفاً، أي قطعه من طرفه..."

وجاء في الحديث: "حذف السلام في الصلاة سنة" وهو تخفيفه وترك الإطاحة فيه، والتخفيف معنى بارز من معاني الحذف لغة...¹

¹ نفسه.

ب/اصطلاحا:

لقد تناول اللغويون القدامى هذه الظاهرة بالبحث والدراسة، وهناك من أطلق عليها مصطلح الإضممار، وبما أنّ الحذف ظاهرة متوسطة بين النحو والبلاغة لها جذور متأصلة في النحو ولها أيضا امتداد في البلاغة، فإنّ النحاة يفرقون بين الحذف والإضممار.

حيث يقولون: "إنّ الفاعل يضمّر ولا يحذف وذلك حينما أمكن تقديره بضمير مستتر فكأنّهم يريدون بالضممر ما لا بد منه، وبالمحذوف ما قد يستغنى عنه"².

أي كأنّ المضمّر ما نحتاجه في الجملة ولكن تخفيه فقط، أمّا المحذوف فما نستطيع الاستغناء عنه أصلا، والمحذوف لا يظهر ولكن يقدر أمّا المضمّر فقد يضمّر أو يظهر.

ولكن نجد أنّ المصطلحين يستعملان بمعنى واحد في الاستعمال العادي للغة.

"والحذف هو إسقاط جزء من الكلام أو كله لدليل وزاد النحويون فقالوا أو لغير ذلك". وهذا قول الزركشي في البرهان³.

ويمكن أنّ نعتبر المعنى الزائد عن الألفاظ أكبر دليل على وجود الحذف.

أما الجملة القرآنية الكريمة التي هي كلام الله جل وعلا فإنّ المستقرئ لأسلوب الحذف فيها، يجده حذفاً يدل عليه الدليل بإشراقه وضاءة تبهر ألباب متأمليه وتستولي على إعجاب مدركيه بلا اختلال ولا غموض.

قال ابن عاشور: "إنك تجد في كثير تراكيب القرآن حذفاً ولكنك لا تعثر على حذف يخلو الكلام من دليل عليه من لفظ أو سياق"⁴.

¹ عاشور عبيد، مذكرة بعنوان: الحذف في القرآن الكريم، دراسة نحوية بلاغية، سورة البقرة - نموذجاً - مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، جامعة المسيلة، 2015-2016، ص 14/13.

² تونسّي حورية وكودري أحلام، مذكرة بعنوان ظاهرة الحذف وغرضها البلاغي في اللغة العربية، نماذج من القرآن الكريم مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، جامعة اكلي محند او لجاج، البويرة، 2012/2013، ص 11.

³ المرجع السابق، ص 12-13.

⁴ الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984، ج 1، ص 122.

ويجتهد تمام حسان في إيضاح أدله الحذف في الجملة القرآنية في كتابه: (البيان في روائع القرآن) إذ يقول: " فالحذف لا يكون إلاّ بدليل من بينة معهودة أو نمط معروف أو قرينة قائمة أو معنى في السياق لا يستقيم إلاّ معه بتقدير الحذف"¹.

من الحذف قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. سورة البقرة الآية (154).

والتقدير: الله بديع السموات والأرض...وقد حذف لفظ الجلالة "المبتدأ" للتعظيم².

وقد ورد حذف الخبر في سورة البقرة في عدة مواضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.سورة البقرة الآية(64) .

وتقدير الكلام: لولا فضل الله حاضر أو موجود، ولزم حذف الخبر لقيام العلم به .

وحذف المفعول به في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾. سورة البقرة الآية(20) .

والتقدير: كلما أضاء لهم ممشى أو طريقا مشوا فيه، فحذف المفعول به دلالة على أنّ سيرهم مرتبط بإضاءة البرق حق كأنّها شيء واحد وفيه دليل على ترقبهم واسراعهم لاغتنام فرصة السير كلما بدا لهم³ .

والمتتبع القرآن الكريم يجد حذف الفاعل أيضا، والمضاف وحذف الصفة والحال وحذف الفعل والحرف بأنواعه وحذف واو العطف وحذف همزه الاستفهام وحذف جواب الشرط وجملته أحيانا وغيرها كثير وكثير، وسنرى بعض منها في تحليلنا السورة الرحمن.

4. التقديم والتأخير:

أولا/التقديم.

¹ تمام حسان، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1993م، ص157.

² سامية مؤنس خليل أو سبيعان، عوارض التركيب في سورة البقرة، دراسة نحوية وصفية، مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2002م، ص27.

³ المرجع السابق، ص18-19.

إنّ تأليف الكلام يحتاج إلى معرفة قواعد النحو، وإتقان قوانين الإسناد وهذا من أجل التعبير الدقيق عن المعنى، فلا بد من مراعاة المقام الذي يناسب التقديم والتأخير لعرض اختصاص أو أهمية أو ضرورة وهذا له أهمية بالغة في النحو العربي، وفي البلاغة العربية لما له من التقنن في القول ومراعاة نظام الكلام وتأليفه، وظاهرة التقديم والتأخير تعد ابرز وجوه البلاغة والبيان في النص القرآني خاصة .

أ/لغة:

ورد لفظ التقديم في أساس البلاغة في قوله: (تقدمه وتقدم واستقدم، وقدمته وأقدمته، فقدم وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة والأقدام في الحرب)¹.

ب/اصطلاحاً:

التقديم والتأخير اصطلاحاً حسب رأي عبد القاهر الجرجاني هو أنّه يراد به أنّ تخالف عناصر الترتيب ترتيبها الأصلي في السياق، فيتقدم ما الأصل فيه أنّ يتأخر، حيث يقول عبد القاهر (371هـ) : (وتقديم الشئيين على وجهين: تقديم على نية التأخير كتقديم الخبر إذا قدم على المبتدأ، وتقديم لا على نية التأخير كتقديم الخبر إذا قدم على المبتدأ، وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أنّ ينقل الشيء عن حكم الحكم وذلك كأنّ يعتمد على اسمين يحتمل كل واحد منهما أنّ يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فيقدم تارة على ذلك، وأخرى على ذلك مثل: زيد منطلق، والمنطلق زيد، فالتقديم والتأخير يؤثران في معنى الجملة لأنّ ما يقدم هو المبتدأ أو المسند اليه، وما يؤخر هو الخبر أو المسند².

فالجملة العربية المعهودة لها نظام خاص مألوف، وتغييره بتقديم أو تأخير يكون لغرض فني مرتبط بأداة المعاني ونجد التقديم والتأخير في الجملة الإسمية والجملة الفعلية وقد يكون وجوباً أو جوازاً .

¹ الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، ص59.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الفكر، دمشق، ط41، 2007م.

ج/أغراض تقديم المسند اليه على المسند:

أولا/التشويق إلى المتأخر:

إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة نحو قول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو اسحاق والقمر

فهنا قدم المسند اليه وهو: (ثلاثة) واتصف بصفة غريبة تشوق النفس إلى الخبر المتأخر وهي: تشرق الدنيا ببهجتها، فأشراق الدنيا أمر يشوق النفس إلى أن تعرف هذه الاشياء الثلاثة التي جعلت الدنيا بحسنها تتألق وتضيء، فإذا عرفت النفس ذلك تمكن الخبر المتأخر فيها واستقر ومثله قول الشاعر:

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

يريد أن الخلائق تحيرت في المعاد الجسماني، فإتيانه بالمسند إليه على تلك الشاكلة موصوف بحيرة البرية فيه يستدعي تشوق السامع إلى أن يعرف ماحكم به عليه، فإذا جاء الخير تمكن في النفس لما تقدمه التوطئة له¹.

ثانيا/تعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطير:

لأن السامع إذا قرع سمعه في ابتداء الكلام ما يشعر بالسرور هنئه وفرح به مثال: العفو عنك صدر به الأمر، أما تعجيل المساءة ليتطير السامع ويتبادر إلى ذهنه حصول الشر بادئ ذي بدء، مثال: الفشل أصيب به العدو.

ثالثا/كون المتقدم محط انكار وتعجب:

نحو قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ الْهَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمَ﴾. فإنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ﴾. ولم يقل: ﴿أَنْتَ رَأَيْتَ﴾. وذلك لأهمية المتقدم وشدة العناية به، وفي ذلك أيضا ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن ألته، وأن ألته لا ينبغي أن يرغب عنها وهذا بخلاف ما لو قال: أَنْتَ رَأَيْتَ عَنْ الْهَيْتِ.

¹ عبد العزيز عتيق، فن البلاغة العربية، علم المعاني، دار النهضة العربية، لبنان، ص133.

رابعاً/تقوية الحكم وتقريره:

يفيد تقديم المسند إليه تقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع، نحو: (هو يعطي الجزيل) أي أننا لا نريد الإخبار بأن غيره لا يعطي الجزيل ولا أن نعرض بإنسان آخر يعطي القليل، ولكن نريد أن تقرر في ذهن السامع ونحق أنه يفعل إعطاء الجزيل، فتقدم المسند إليه هو وتكريره في الضمير المستتر في يعطي أدى إلى تقوية الحكم وتقريره¹.

خامساً/التخصيص:

وهذا يعني أن المسند إليه قد يقدم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي بشرط أن يكون مسبقاً بحرف نفي نحو ما أنا قلت هذا: أي لم أقله مع أنه مقول، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك، فلا تقول ذلك قائلًا له ومن أمثلته كذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمُلْكُ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾

سادساً/التعجيل بتعظيمه أو تحقيره:

فالأولى كقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَلِيَّانَ﴾ ٢٩ سورة الفتح (29)، أما الثاني كقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة".

د/الأغراض البلاغية من تقديم المسند:

أولاً/تخصيص المسند المتقدم بالمسند المتأخر:

كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْمُلْكُ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾. فقد خصص ملك السماوات والأرض لله وحده عز وجل لا لغيره، وبهذا فهو مختص بكونه كله مقصور عليه ومنحصر فيه.

ثانياً/التنبيه على الخبرية:

من مقتضيات تقديم المسند التنبيه على أنه خبر، حتى لا يلتبس بالصفة، وبيان ذلك أن الخبر والصفة متقاربان، وإنما يفرق بينهما باعتبارات معنوية، فالذي يصلح أن يكون صفة قد

¹ المرجع نفسه، ص134.

لا يصلح ليكون خبراً، فإذا قلنا: (مستقر في الأرض لنا) فإن كلمة "لنا" تحتل أن تكون صفة أو خبر¹ .

ثالثاً/المساءة نكايّة بالمخاطب:

وهنا يبدي المخاطب تأزمه وتأمله من قضية معينة كقول المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد .

فقدم هذا الجار والمجرور "من نكد" وهي شبه جملة في محل رفع خبر مقدم أو ما يعرف بالمسند، وتأخر المسند إليه "أنّ يرى" وهو مصدر مؤول مبرز تأمله الشديد من نكد الدنيا ومصائبها .

رابعاً/التشويق للمتأخر اذا كان في المتقدم ما يشوق لذكره:

ومن ذلك قول ابي العلاء المعري:

وكالنار الحياة فمن رماد اواخرها وأولها دخان .

فقوله: كالنار يدفع النفس إلى التشويق لمعرفة هذا الذي يشبه النار أي الحياة، وعليه إذا كان في المسند المتقدم ما يشوق إلى المسند إليه يجعل السامع مستعجلاً لمعرفة².

وباب التقديم والتأخير باب واسع يحتاج إلى بحث مستقل بذاته ولذلك سنكتفي بهذا القدر، وسوف نعرض عليه مجدداً عند دراستنا لسورة الرحمن والتطبيق عليها.

5.الفصل والوصل:

الفصل والوصل من المواضيع التي تمثل سرا من أسرار البلاغة بمواطنتها في الكلام، والذي لا ينشأ إلا للعرب الفصحاء³. لأنّ اللغة لغتهم وهم ينطقون بها، حيث أنّهم جعلوا من الفصل والوصل حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنّه سئل عنها فقال: البلاغة معرفة الفصل من الوصل .

¹ عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص139.

² المرجع السابق، ص135.

³ أيمن أمين عبد الغني، الكافي في البلاغة، دار التوثيق للتراث، القاهرة، ص169.

أولا/ الفصل:

أ/لغة:

الفصل: يدور معنى كلمة فصل في معاجم اللغة على معنى القطع، فمصدر الفعل، فعل يفصل (بالكسر) ، وفصل يكون "لازما وواقعا" وإذا كان واقعا فمصدره الفصل، وإذا كان لازما فمصدره الفصول¹.

جاء في لسان العرب لابن منظور: "الفصل هو بون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد موضع المفصل، وبين كل فصلين وصل"².

وجاء في الصحاح: "فصلت الشيء فانفصل أي قطعت فانقطع بابه ضرب"³.

ب/اصطلاحا:

الفصل لا يعني انقطاع العلاقة الدلالية بين الجملتين كما يوهم المصطلح لكن يعني أنّ مستوى العمق يفصل بين الجملتين بوضع عنصر طارئ تطلبه إحدى الجملتين ". وهذا يعني أن الفصل هو الالتحام بين الجملتين دون استعمال حروف العطف.

ثانيا/الوصل:

أ/لغة:

أيضا كلمة الوصل تعددت مدلولاتها ومعانيها في المعاجم اللغوية لكن، أغلبها ترجع إلى معنى الربط.

¹ شكر محمود عبد الله، الفصل والوصل في القرآن الكريم، دار حلة، الأردن، ط1، 2009م، ص19-20.

² ابن منظور لسان العرب، مج:11، 12، دار صادر، لبنان، ط4، 2005م، مادة فصل، ص188-189.

³ الجوهري، الصحاح، مادة فصل، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 2008م، ص814.

جاء في تاج العروس للزبيدي ما يلي: "وصل الجبال وغيرها توصيلاً، وصل بعضها ببعض، واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع، وليلة الوصل آخر ليالي الشهر لاتصالها بالشهر الآخر، وواصل الصيام مواصلة ووصالاً إذا لم يفطر أياماً تباعاً، والتواصل ضد التصارم"¹.

وقال ابن منظور: "الوصل ضد الهجران: وخلاف الفصل، وفي التنزيل الحكيم: "ولقد وصلنا لهم القول"، وصل الشيء إلى شيء إذا انتهى إليه وبلغه، قال أبو ذئيب:

توصل بالبركان حيناً وتؤلف ال

جواز ويغشيها الأمان ربابها

وقال ابن الأعرابي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ﴾. سورة النساء الآية (90) أي ينتسبون².

ب/اصطلاحاً:

يعتبر الوصل المظهر الاتساقى الخامس، وهو مختلف عن كل أنواع علاقات الاتساق الأخرى، وذلك لا يتضمن إشارة موجهة نحو البحث عن المفترض فيما تقدم أو فيما سيلحق كما هو شأن الإحالة والاستبدال والحذف فما هو المقصود بعلاقة الوصل إذن؟

"فإنّه تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"³.

على الرغم من ارتباط مصطلح الفصل والوصل بالنص القرآني إلاّ أنّه لم يعرف استقراراً بلاغياً إلاّ على يدي الإمام عبد القاهر الجرجاني في القرن الخامس الهجري والذي يقول في كتابه: (دلائل الإعجاز): (واعلم أنّ العلم بما ينبغي أن يضع في الجمل من عطف بعض على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة...واعلم أنّ يسألنا أن ننظر فائدة العطف في المفرد، ثم نعود إلى الجملة فننظر فيها ونعرف حالها)⁴.

¹ الزبيدي محمد بن مرتضى، تاج العروس، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1985م، ص100.

² شكر محمود عبد الله، الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص22.

³ محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، لبنان، بيروت، ط1، 1991م، ص23.

⁴ الجرجاني، أبو بكر عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، دار المدني بجدة، القاهرة ط3، 1992م، ص222.

ومما سبق يتضح كليا أنّ الوصل: هو عطف بعض الجمل على بعض، والفصل: هو ترك هذا العطف والمجيء بها متتالية تستأنف الواحدة منها بعد الأخرى.

إنّ القرآن الكريم الذي خاطب الطبيعة العربية كان بفصل بين المعاني أحيانا ويربط بينها أحيانا أخرى، فكان يزاوج بينهما لكي يفهم المخاطب، أو ومراعاة لمقتضى الحال وهذه هي البلاغة بعينها، وكل هذا الإبراز لجمال المعنى من أجل تحقيق الفائدة.

وسنحاول تناول بعض النماذج للوصل والفصل في القرآن الكريم

ونقف هنا لننتأمل ما جاء من ذلك في سورة النبأ، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۚ عَنِ النَّبَأِ الْكَبِيرِ ۚ﴾ سورة النبأ الآيات (1-2).

إذ بدأت السورة بهذا الاستفهام عن تساؤل جماعة من المشركين عن النبأ العظيم، ومن شأن الافتتاح بالاستفهام أنّ يحقق تشويقا لما سيأتي بعده، ومن هنا نجد أنّ الإجمال ثم التفصيل، والمتحصل من تمكن الخير الآتي في نفس السامع قد حقق هذا التشويق، فضلا عن دلالة صيغة التفاعل في لفظة (يتساءلون) والتي تفيد تكرار وقوع الفعل مع قوة مدورة من الفاعل. وهذا التساؤل قد يكون حقيقة غايته طلب العلم لما يسأل عنه، أو مجازا فيكون القصد منه الاستهزاء، ويجوز حمله على كلا المعنيين إلا أن الفصل بين الآيتين قد وضح نوع هذا الاستفهام أو التساؤل.

إذ أنّ الاستفهام "لما كان مستعملا في غير طلب الفهم حسن تعقيبه بالجواب عنه بقوله: "عن النبأ العظيم" فجوا به مستعمل بيانا لما أريد بالاستفهام من الاجمال لقصد التفتيح فبين جانب التفتيح¹. هذا في الفصل، أما الوصل فنسرد مثالا وهو قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَأَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَرَيْثُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِإِنْعَامِكُمْ﴾ سورة عبس الآيات (24-32).

فما سبقها من الآيات كان استدلالا على البعث الذي أنكره المشركون الذين عوتب الرسول عليه السلام على اهتمامه الشديد في دعوتهم والإعراض عمن طلب منه ذلك وهو ابن أم مكتوم، فقد بدأ الاستدلال على البعث بخلق الإنسان ومراحل هذه العملية لإثبات قدرته تعالى لهؤلاء المنكرين ثم انتقل هنا إلى استدلال للمناسبة نفسها، انتقل إلى طعام الإنسان ودعاه أنّ

¹ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص 09.

ينظر إليه، وإلى مراحل خلقه، فضلا عن التدبر في أن خلق الإنسان ومراحل خلقه وخلق الطعام ومراحل لهي من النعم الكبيرة التي تستوجب الإيمان بالله وباليوم الآخر والبعث وتستوجب الشكر له على هذه النعم، وهكذا فإن ذكر مراحل خلق الطعام يستوجب الوصل لتعددتها وتنوعها واختلافها، وفي تفصيل هذه الأطوار والمراحل تمثيل لإحياء الأجساد المستقرة في الأرض وإخراجها كخروج النبات...

وعند دراستنا لسورة الرحمن سوف نتطرق إلى بعض النماذج الأخرى من الوصل والفصل.

6. التصوير الفني:

إنّ النص القرآن ي عالم من الدلالات المعنوية والإيحاءات الحسية والإيقاعات الوجدانية، يملك من النص كل خالصة، ومن الباب كل خاطرة، ومن العقل كل فكرة.

ولقد لقي القرآن اهتماما كبيرا، حيث ظهرت دراسات كثيرة حوله، تنوعت بين الفقه والتشريع والعقيدة وإلى جانب ذلك ظهرت بعض الدراسات التي تهتم بالجانب الفني وخير من جسدها حسب النقاد هو: سيد قطب في كتابه: "التصوير الفني في القرآن..."

أ/ معنى التصوير الفني:

تحديد مصطلحات: الصورة والتصور والتصوير

الصورة إحدى ظواهر طبيعية، وهي إما حقيقية أو خيالية.

جاء في لسان العرب: "الصورة في الشكل، والجمع صور، وقد صوره فتصور.

وتصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي، والتصاویر التماثیل¹.

قال ابن الأثير: الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته. يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي: هيئته. وصورة الأمر كذا وكذا: أي صفته².

¹ صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، شركة الشهاب، باتنة، الجزائر، ط: وحدة

الرعاية، 1988، الجزائر، ص74.

² نفسه، ص74.

...وعن الإدراك الحسي ينشأ التصور الفني الذي هو: استحضار صور المدركات الحسية عند غيبتها عن الحواس، من غير تصرف فيها بزيادة أو نقص أو تغيير .

فالتصوير بمعنى آخر: هو مرور الفكر بالصور الطبيعية التي سبق أنّ شاهدها وانفعل بها، ثم اخترتها في مخيلته، مروراً بها بتصفحها، والتصوير هو إبراز هذه الصور إلى الخارج بشكل فني .فالتصور إذن هو العلاقة بين الصورة والتصوير وأداته الفكر فقط، وأمّا التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة¹.

والصورة في الأدب تستعمل إعادة للدلالة على كل ما له صلة بالتغيير الحسي، وتطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات.

واستعمال الصورة هذا الاستعمال، حديث في الأدب والبلاغة والنقد، وكان العرب في السابق يستعملون لفظ "الاستعارة".

للدلالة على بعض ما تدل عليه كلمة "الصورة" الآن. ومدلولها يتسع حيث يشمل مدلول بعض الألفاظ مثل: التشبيه والكناية والمجاز.

إنّ مدلول الصورة يشمل العبارة أي الأسلوب، والخيال الذي يكون العاطفة وبصورها، وإذا أردنا تعريفاً محدداً للصورة الأدبية قلنا: "أنها تجسيم لمنظر حسي أو مشهد خيالي، يتخذ اللفظ أداة له، وهناك بالإضافة إلى التجسيم: اللون والظل، أو الإيجاد والإطار، وكلها عوامل لها قيمتها في تشكيل الصورة وتقويمها..²".

...والصورة الأدبية لها عناصر في المقياس النقدي الأدبي، وعناصر في المقياس التصويري.

ب/عناصر الصورة الأدبية في المقياس الأدبي:

1-مفردات الدلالة اللغوية للألفاظ .

2-الدلالة المعنوية الناشئة من اجتماع الألفاظ وترتيبها في نسق معين.

¹ المرجع السابق، ص74.

² صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق، ص75.

3-الإيقاع الموسيقي الناشئ من مجموعة إيقاعات الألفاظ متناغما بعضها مع بعض.

4-الصور والظلال التي نشعها الألفاظ متناسقة في العبارة.

5-طريقة تناول الموضوع والسير فيه، أو الأسلوب، إذ أنّ التنسيق هو الذي يسمح لكل لفظ بأنّ يشع شحنته من الصور ومن الإيقاع، وهو الذي يؤلف إيقاعا متناسقا بين الألفاظ، وظلالا متناسقة من ظلال الألفاظ...¹.

أما عناصرها في المقياس التصويري: فهي:

1. التكامل: وهو القدرة على رسم الصورة بكل جزئياتها الصغيرة التي لا يلتفت إليها الإنسان العادي، وإنّما تلفت نظر الفنان وحده لدلالاتها الخاصة، بحيث لا تفلت منه لمسة من تلك اللمسات التي تكون لها قيمة في تعميق موضوعاتها.
2. الزاوية: وهي المسافة والموضع الذي يحددها الشاعر لينظر إلى صورته. ولهما دلالتهم الخاصة على نفسية الشاعر، وقدرتهما على التأثير. فمن خلالها قد تتبدل ملامح الصورة.
3. الإيحاء: وهو بمثابة الظل لدى المصور. فالصورة لا بد أنّ تكون لها إيحاءاتها وإلا فقدت تأثيرها. والمصور عن طريق الظل يرينا التعبيرات، والشاعر عن طريق لمساته الموحية يرينا كل التعبيرات.
4. الترابط: الترابط في الصورة ضروري، حتى لا تكون مجرد أشتات.
5. الإطار: ويقصد به كل ما هو خارج عن رسم الصورة في صميمها، كالموسيقى المتمثلة في الوزن والقافية، وتختلف أنواعه باختلاف الصورة نفسها، فهو تابع لها².

ج/التصوير الفني في القرآن:

وهو أنّ القرآن الكريم استخدم طريقة التصوير في التعبير وجعله الأداة المفضلة في أسلوبه: "فهو يعبر بالصورة المحسنة، المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن

¹ المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

² المرجع السابق، ص76.

الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة¹.

فهو: تصوير باللون، والتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور¹.

د/نماذج من التصوير الفني في القرآن الكريم:

سنورد بعض النماذج فقط، قال تعالى في سورة مريم: ﴿واشتعل الرأس شيئا﴾ سورة مريم الآية(4) فإنّ هذه الصورة تثير في الخيال حركة تخيلية سريعة هي حركة الاشتعال التي تتناول الرأس في لحظة، وهي حركة جميلة تلمس الحس وتثير الخيال، وتشرك النظر والمخيلة في تذوق ما فيها من جمال...ففي التعبير بالاشتعال عن الشيب جمال وفي إسناد الاشتعال إلى الرأس جمال آخر يكمل أحدهما الآخر².

ومنها قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ سورة الأعراف الآية(40)، فإنّ هذه الصورة تترك القارئ أو المستمع يرسم بخياله صورة متخيلة لتفتح أبواب السماء...أبواب وليس باب واحد، وصورة متخيلة أخرى لولوج الجمل وهو الحيوان المعروف، في سم الخياط وهو ثقب الإبرة، وتدب الحركة في هذه الصورة التخيلية بتخيل محاولات الجمل اليائسة المتكررة دخول ثقب الإبرة.

والنماذج كثيرة وكثيرة جدا في القرآن الكريم وكلها تبين إعجاز القرآن البياني خاصة طريقة التصوير الفني التي تعرضنا لها، والتي تجعل من الألفاظ الموحية صورة متحركة ومجسدة أماننا وكأننا نراها .

¹ المرجع نفسه، ص77.

² المرجع السابق، ص131-132.

الجليل الناصب

الفصل الثاني

سورة الرَّحْمَن (أنموذجا)

أولاً/التعريف بسورة الرحمن:

1. بين يدي السورة :

سورة الرحمن مكية على الراجح من قول العلماء، وقد تكون مبكرة في النزول وهذا يقتضي أنها تعالج أصول العقيدة التي كان التركيز عليها كبيراً في تلك المرحلة المبكرة من الدعوة الإسلامية، كما في جميع السور التي أجمع العلماء على مكيتها¹.

ترتيبها :الخامسة والخمسون في القرآن.

آياتها :عدد آياتها ثمان وسبعون آية .

كلماتها :عدد كلماتها ثلاث مائة واثنان وخمسون.

حروفها: عدد حروفها ألف وخمسمائة وخمس وثمانين .

مكان نزولها : الراجح أنها مكية كلها .²

1- عدد الله نعمه في هذه السورة مبتدئاً بذاته المقدسة مصدر النعم، ثم بالثناء على القرآن الكريم.

2- ثم ببيان جانب من مظاهر قدرة الله تعالى، ومن جميل صنعه، وبديع فعله... اقرأ إن شئت قول الحق سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ جُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ سورة الرحمن الآيات (1-7).

3- وبعد أن ساق سبحانه ما ساق من ألوان النعم، أتبع ذلك ببيان أن كل من على ظهر هذه الأرض مصيره إلى الفناء، وأن الباقي هو وجه الله تعالى وحده ...

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط 15، 1988م، ج 6، ص 3445-3458.

² محمد مهدي قشلاّن، تفسير وبيان لسورة الرحمن بما فتح ويسر المنان، 2019م، ص 7.

4- ثم بين أهوال القيامة، وسوء عاقبة المكذبين، اقرأ إن شئت قول الحق سبحانه: ﴿يُعْرِضُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيْمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ سورة الرحمن الآية (41).

5- ثم بين حسن عاقبة المؤمنين.. فقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ سورة الرحمن الآيات (46-48)¹.

ثم وصفت ما أعدّه الله تعالى للمتقين وصفا يشرح الصدور، ويقر العيون، فقد أعدّ سبحانه لهم بفضله وكرمه الحور العين، والفرش التي بطائنهما من إستبرق. قال تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِئْنَهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُنْكَبِتِينَ عَلَى رُفُوفٍ حُضِرَ وَعَبَقَرِيٌّ حِسَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ سورة الرحمن الآيات (72-78)².

وهكذا نرى السورة الكريمة تطوف بنا في آفاق هذا الكون، فتحكى لنا من بين ما تحكى- جانباً من مظاهر قدرة الله تعالى ونعمه على خلقه، وتقول في أعقاب كل نعمة ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وتتكرر هذه الآية فيها (إحدى وثلاثين مرة)، لتذكير الجن والإنس بهذه النعم كي يشكروا الله تعالى عليها شكراً جزيلاً، وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة، فكلما مر بهذه الآية، قالوا: "ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب، فلك الحمد"، وهكذا ينبغي للعبد إذا تليت عليه نعم الله وآلاؤه، أن يُقرّ بها، ويشكر الله ويحمده عليها.....

2. تسميتها:

سميت بـ (سورة الرحمن)، لافتتاحها باسم من أسماء الله الحسنى وهو (الرحمن) وهو اسم مبالغة من الرحمة، وهو المنعم بجلال النعم ولجميع الخلق، أمّا الرحيم: فهو المنعم بدقائق النعم، والخاص بالمؤمنين. ولذا يُقال: الرحمن: لجميع الخلق، والرحيم: بالمؤمنين. وسميت

¹ المرجع السابق، ص8.

² نفسه، ص9.

في حديث مرفوع ب (عروس القرآن) فقد أخرج البيهقي عن علي بن أبي طالب- رضى الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: لكل شيء عروس و عروس القرآن الرحمن¹.

3. تصنيف السورة: (نسب السورة وسبب نزولها):

كما أشرنا سابقا الى ترجيح كون سورة الرحمن سورة مكية، وهذا القول هو قول جمهور الصحابة والتابعين.

وقد قيل في سبب نزولها، قول المشركين المحكي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ سورة الفرقان الآية(60). فيكون نزولها بعد سورة الفرقان وهي سورة مكية².

وروى جماعة عن ابن عباس أنها مدنية نزلت في صلح القضية عندما ابى سهيل بن عمرو أن يكتب في رسم الصلح "بسم الله الرحمان الرحيم".

ونسب إلى ابن مسعود أنها مدنية، وعن ابن عباس: أنها مكية سوى آية منها هي قوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، والأصح أنها مكية كلها .

وهي من أول السور نزولا فقد أخرج أحمد في مسنده بسند جيد عن أسماء بنت أبي بكر قالت: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والمشركون يسمعون يقرأ ﴿ فبأي الاء ربكما تكذبان ﴾. وهذا يقتضي أنها نزلت قبل سورة الحجر.

¹ محمد مهدي قشلاق، المرجع السابق، ص7.

² محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج27، ص228.

وكذلك ما جاء أنّها رد على قول آخر للمشركين محكي في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ سورة النحل الآية (103). فيكون نزولها كذلك بعد سورة النحل المكية ¹.

وللاختلاف فيها لم تحقق رتبتها في عداد نزول سور القرآن، وعدّها الجعبري ثامنة وتسعين بناء على قول بأنها مدنية وجعلها بعد سورة الرعد وقبل سورة الإنسان.

وإذ كان الأصح أنها مكية وأنها نزلت قبل سورة الحجر وقبل سورة النحل وبعد سورة الفرقان، فالوجه أن تعدّ الثالثة وأربعين بعد سورة الفرقان وقبل سورة فاطر.

وعد أهل المدينة ومكة آياتها سبعة وسبعين، وأهل الشام والكوفة ثمانا وسبعين لأنهم عدوا الرحمن أية وأهل البصرة ستا وسبعين ².

4. ترتيبها في التلاوة والنزول

سورة الرحمن في التلاوة هي السورة الخامسة والخمسون في المصحف العثماني، وهي الخامسة في القسم المفصل، بعد سور: الذاريات، الطور، النجم، القمر، وهي في مصحف ابن مسعود أول المفصل، يليها في العثماني سورة الواقعة .

أمّا بالنسبة لترتيبها في النزول -وقد تم الإشارة إلى ذلك- فلم يحقق القول برتبتها للاختلاف الواقع في زمن نزولها، فمن بنى قوله على مدنيّتها عدّها ثامنة وتسعين، وجعلها بعد سورة الرعد وقبل سورة الإنسان ومن بنى على مكيتها -وهو الراجح- عدّها الثالثة وأربعين، وجعلها قبل سورة فاطر وبعد سورة الفرقان .

وآياتها عند أهل الشام والكوفة ثمان وسبعون، وعند أهل مكة والمدينة سبع وسبعون، وعند أهل البصرة ست وسبعون ³.

¹ المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

² المرجع السابق.

³ نفسه.

5. مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها :

أ- مناسبة السورة لما قبلها :

في سورة القمر حملة مفزعة عنيفة على المكذبين بالنذر، وفيها عرض لمشاهد متعددة من مصارع الأقوام المكذبة الكافرة، وفي ختام السورة إشارة سريعة خاطفة إلى عاقبة هذه الأقوام الضالة المستكبرة : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَىٰ وَأَمَرٌ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ سورة القمر الآيات (46-48).

ولهذه الإشارة الخاطفة توسع وتفصيل في سورة الرحمن من وصف لمرارة الساعة وإشارة إلى شدتها وعرض لمشهد الانقلاب الكوني الحاصل عندئذ، ثم وصف للنار وأهلها: ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ ﴾ سورة الرحمن الآيات (41-44).

وفي ختام سورة القمر آيتان اثنتان هما كذلك إشارة سريعة للمتقين وما يستحقونه من ثواب جزاء لما قدموا من إيمان وثيق وعمل صالح: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ (55) ﴾ سورة القمر الآيات (54-55)، وقد كان تفصيل هذا الإجمال في سورة الرحمن عندما ذكر الخائفين مقام ربهم، والمشفقين من عذابه ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ سورة الرحمن الآية (46)، ومن ثم وصف لما حوته هذه الجنان من أفنان ندية وعيون جارية وفاكهة وفيرة .

يقول الألوسي: فصل اجمال سورة القمر في سورة الرحمن أتم تفصيل على الترتيب الوارد في الإجمال فبدأ بوصف مرارة الساعة والإشارة إلى شدتها، ثم وصف النار وأهلها ولذا قال سبحانه: ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ الرحمن الآية (41)¹.

¹ الألوسي، روح المعاني، ج 15، ص 197.

ولم يقل الكافرون أو نحوه، لاتصاله معنى بقوله تعالى هناك: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ القمر الآية (48). ثم وصف الجنة وأهلها ولذا قال تعالى فيهم: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ سورة الرحمن الآية (46). ويعرف بما ذكر أنّ هذه السورة كالشرح لآخر السورة قبلها .

ثم قال نقلا عن أبي حيان: ولما برز قوله سبحانه: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ سورة القمر الآية (55)، بصورة التكرير فكأنّ سائلا يسأل ويقول: من المتصف بهاتين الصفتين الجليلتين ؟ فقول: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ سورة الرحمن الآية (1)¹.

ب. مناسبتها لما بعدها :

عرضت سورة الرحمن لأصناف ثلاثة من الناس :

الصنف الأول: المجرمون وما استحقوه من عذاب اليم .

الصنفان الآخران: السابقون: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ سورة الرحمن الآية (46)، وأهل اليمين: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ﴾ سورة الرحمن الآية (62)، ولكن من غير تسمية أو تحديد .

وفي سورة الواقعة تفصيل لهذه الصنوف الثلاثة من الناس مع تسميتهم وذكر مراتبهم وما ينالونه من استحقاق في الدار الآخرة، المجرمون والسابقون وأهل اليمين: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ سورة الواقعة (07)، يقول سيد في الضلال: وفي سورة الواقعة نرى أنّ أصحاب الجنة فريقان كبيران، هم السابقون المقربون وأصحاب اليمين ولكل منهما نعيم، فهنا -أي في سورة الرحمن- نلمح أنّ هاتين الجنتين في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ سورة الرحمن الآية (46)، هما لفريق ذي مرتبة عالية، وقد يكون فريق السابقين المقربين المذكورين

¹المرجع السابق.

في سورة الواقعة، ثم نرى جنتين آخرين: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ سورة الرَّحْمَنِ الآية (62)، من دون هاتين، ونلمح أنَّهما لفريق يلي ذلك الفريق، وقد يكون هو فريق أصحاب اليمين¹.

يقول الألوسي: سورة الرَّحْمَنِ وسورة الواقعة متواحيان في أنَّ في كلٍّ منهما وصف القيامة والجنة والنار وينقل عن أبي حيان: مناسبتها أي الواقعة لما قبلها أنَّه تتضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين وفاضل سبحانه بين جنتي بعض المؤمنين وجنتي بعض آخر منهم، فانقسم المكلفون بذلك إلى كافر ومؤمن فاضل ومؤمن مفضول، وعلى هذا جاء ابتداء هذه من كونهم أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وسابقين²، وقال بعض الآجلة: انظر إلى اتصال قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ سورة الواقعة الآية (1)، بقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ سورة الرَّحْمَنِ الآية (37)، وأنَّه اقتصر في هذا على ذكر انشقاق السماء وفي الواقعة على ذكر رج الأرض، فكأنَّ السورتين لتلازمهما واتخاذهما سورة واحدة، فذكر في كل شيء وقد عكس الترتيب فذكر في أول هذه ما في آخر تلك وفي آخر هذه ما في أول تلك، فافتتح في سورة الرحمن بذكر القرآن ثم ذكر الشمس والقمر ثم ذكر النبات ثم خلق الإنسان والجان ثم صفة يوم القيامة، ثم صفة النار ثم صفة الجنة، وهذه ابتدائها بذكر القيامة ثم صفة الجنة ثم صفة النار ثم خلق الإنسان ثم النبات ثم الماء ثم النار ثم ذكرت النجوم ولم تذكر في الرحمن كما لم يذكر هنا الشمس والقمر ثم ذكر الميزان فكانت هذه كالمقابلة لتلك³.

6. السياق في سورة الرَّحْمَنِ:

سورة الرَّحْمَنِ بدايتها صفة الخالق عز وجل، جاءت في سياق خبري وهو: "الرَّحْمَنُ"، وهي من البسمة الإضافية توكيدا للوجود وتثبيتا للمقام، وتنبيهها على الموقع الإلهي من الموجودات الفانية التي سيذكرها، وهي عروس بين سائر السور الكريمة التي تعالج أصول

¹ سيد قطب، المرجع السابق، ص 3457.

² الألوسي، المرجع السابق، ص 197.

³ وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط 10، 2003م، ص 255.

العقيدة الإسلامية وتتحدث على النعم الإلهية المختلفة سواء كانت مادية أو معنوية والتي تفضل بها البارئ عز وجل على عباده وغمرهم بها، ويمكن تسميتها لهذا السبب "سورة الرَّحْمَن" أو "سورة النعمة"، لهذا بدأت بالاسم المبارك "الرَّحْمَن" الذي يشير إلى صنوف الرَّحمة الإلهية الواسعة، وتنتهي هذه السورة آياتها بإجلال وإكرام لله سبحانه وتعالى، حيث أنها تخاطب العقول كي يعي ألاء الله مستنكرة تكذيب المشركين وعنادهم لله سبحانه وتعالى رغم نعمهم، وإقرار عباده بالنعم التي تفضل بها عليهم (أحدى وثلاثين مرة)، وذلك من خلال تكرار آية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، وبناء على هذا فإن السياق العام للسورة يتعلق بالحديث عن المنن والنعم الإلهية المختلفة والعظيمة¹.

وجاء السياق في سورة الكريمة على امتتان الخالق على الإنسان بآلائه ونعمه، فكانّ التعداد هو وسيلة هذا الامتتان، ابتداءً ذلك بنعمة القرآن وتعليمه في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾ سورة الرحمن الآيات (1-4)، والذي هو الركن الأساسي لاستخلاف الإنسان في الأرض، ثم ذكر العديد من النعم في الكون والأفاق ثم العودة إلى خلق الإنسان مع تبين مادة النشأة الأولى، الصلصال، والصلصال هو الطين الذي يترك حتى ييبس وصار له صوت وصلصلة هو الضرب عليه، وهو شبيه بالفخار إلا أنّ الفخار هو ما ييبس بالطبخ بالنار إذا فالسياق هنا سياق امتتان وتذكير لا إسهاب وتفصيل².

وبين ذلك استعراض لبعض آيات الله في بسط الرزق وقبضه في خلق السموات والأرض وما بث فيها من دابة وفي فلك الجوّاري في البحر كالأعلام، وقد عقب على كل من الآيتين أو النعمتين السابقتين خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة والسفن الجوّاري، في البحر

¹ عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني (تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن)، دار هومة، الجزائر، 2001م ص 163.

² محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص13.

كالأعلام عقب على كلّ منهما بالفناء والإهلاك يشعر الناس بأنّ كل ما يملكون منّ أعراض هذه الدنيا وعرضه كله للذهاب فلا ثبات ولا استقرار لشيء إلاّ الصلة الوثيقة بالله¹.

7. مطلع السورة وأثره على المتلقي :

قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ أول ما يصادف البصر عند تلقي هذه اللفظة "الرحمن" وهي لفظة صفة بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء بكلّيته وتدعون للتأمل والانتظار لما بعدها، كما أنّ هذه البنية التركيبية تنتهي بحرف نون مسبوق بمد والذي توالى في كامل السورة ليشكل لازمة في السورة بأكملها، وثبات هذا المد المقترن بالنون ساعد في اتساق النص وانسجامه، كما أنّها تشير الى الاستعلاء والهيمنة إذ تصدم أذن المتلقي وتبعث فيه نوعا من الرهبة نظرا لطبيعة حروفها الجهرية التي تساهم في انفعال وتفاعل القارئ، حيث أنّ براعة هذا الاستهلال وحسن الابتداء جاء واضح ومستقل لما بعده، مناسب للمقام بحيث يقرع السمع وينعوه للانتباه والانفطار لما بعده، وفي قول ابن رشيق (إنّ حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطية النجاح)².

8. علاقة التناسب بين المطلع والاختتام :

إنّ بداية وافتتاح السورة بصفة الخالق "الرَّحْمَن" ترسم للقارئ موضوع السورة بأكملها وما يميزها أنّها تقع على بناء دائري، حيث بدايتها الرَّحْمَن ذكرنا واختتامها بشيء مثله مدحا: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، ليرد آخرها أولها فتصبح كالحلقة الواحدة فكأنّ هذه السورة قائمة في بناءها على ربط الأول بالآخر، ﴿الرَّحْمَنُ﴾...﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، أو ربط الآخر بالأول ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾...﴿الرَّحْمَنُ﴾³.

¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، ص138.

² الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر و أدابه، ص 1-71.

³ عبد الملك مرتاض، المرجع السابق، ص223.

-وبناء على التصور الأسلوبي الأوّل فإنّ ما في هذه السورة كله يتغذى مجرد تفصيل لمعاني الرّحمن العظيم الذي تطوي عظّمته وآلاءه، وحكّمته، وقدرته، ورحمته، وعقابه، وألوهيته، ووحدانيته، وسماويته، وجلاله، وعمله، وعطيته، وإنعامه، هذه الآية المختومة بها السورة فالتبرك باسم الله، الاسم وجلاله وإكرامه هو طي لتلك المسافة الطويلة التي تقطعها قراءة للسورة وما فيها من لطائف وعجائب، أو هو جمع لتلك الآداب الإلاهية التي وردت في عامة هذا النص بين صدر السورة وعجزها، وهنا تمثيل هذا الكلام البديع في الرّحمن.

فمّا أبرك اسم ربك وأجله وأكرمه، ويأتي الكلام من منظور هذا التصور في باب تعليم الحكمة للناس.

وسن اللغة التي يجب أن يصطنعوها حتى يؤدّون تسبيح الله والتقديس له¹.

ثانيا/أدوات التفسير البياني في سورة الرّحمن

أولا: التكرار في سورة الرّحمن:

بدأت سورة الرّحمن باسمه الجليل الرّحمن وانتهت باسمه كذلك: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، سورة الرّحمن (78)، وهذا تعظيم لصفاته سبحانه وتعالى، اذن ذكر خلق الإنسان أولا وذكر نهاية الإنسان المتقي والمُشرك، ابتداء بالرحمن ثم انتهى بتعظيمه سبحانه وتعالى .

ويقول سيد قطب : "يسير السياق في هذه السورة على نسق خاص ..."، يعرض نعم الخالق على خلقه ويعد بها ثم يسأل بعد كل منها " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " والخطاب موجه فيها الى الإنس والجن ثم يستطرد من نعم الخالق على خلقه في الدنيا إلى آلائه عليهم

¹ المرجع السابق، ص 224.

في الآخرة ويعد الجزاء على الخير والشر بالنعيم والعذاب من بين هذه النعم وإنها كذلك، فالعدالة في الجزاء نعمة إلهية كبرى يعجز الإنسان ولا يحققها إلا إله¹.

وسورة الرَّحْمَن كالعروس بين سائر السور الكريمة، ولهذا ورد في الحديث الشريف، قوله عليه الصلاة والسلام: "لكل شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن".

وسنحاول إسقاط الأمور التي تعرضنا إليها في الجانب النظري: المتشابه اللفظي، التكرار، الذكر والحذف، التقديم والتأخير، الفصل والوصل، التصوير الفني على سورة الرحمن ...

أ- مواطن التكرار في سورة الرحمن :

إنَّ التكرار في القرآن الكريم عموماً وفي عروس القرآن خصوصاً لم يأت عبثاً ولا خبط عشواء، ولكنَّ جاء لحكمة أرادها المولى عز وجل من ورائه، لذلك فإنَّ له أنواع عدة تحمل في طياتها فوائد جمة تختلف حسب سياق الكلام .

ولكي ندرك الأمر جيداً قمنا بهذه العملية الإحصائية التي تميز لنا مواطن التكرار في هذه السورة مع تبيان نوعه وفائدته .

1. التكرار المعجمي :

أعاد سبحانه وتعالى لفظ الميزان ثلاث مرات في ثلاثة آيات متتالية، وهذا تأكيداً وتوصية منه لعباده بإيفاء الوزن وإقامة العدل في كل جوانب الحياة العامة، فهي صفة حميدة أمر الله عباده بها، كما قيل أن كل واحد منها غير الآخر، فالأول ميزان الدنيا، والثاني ميزان الآخرة، والثالث ميزان العقل².

فقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ سورة الرَّحْمَن الآية (07) دلت على أنَّه جل شأنه خلق كل شيء بترتيب معلوم في الكون، فهو عدل الدنيا، وقوله: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي

¹ سيد قطب، مشاهد القيامة ، دار الشروق، القاهرة، ط14، 1423 هـ / 2002م، ص250.

² الكرمانى، البرهان في متشابه القرآن، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1991 م، ص 339.

الْمِيزَانَ ﴿سورة الرَّحْمَنِ (08) معناه أَنَّهُ وصى عباده وحضهم على العدل في الكيل وعدم التطفيف فيه، أَمَّا قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الرَّحْمَنِ(09)، فَإِنَّهُ في هذا الموضوع يدعو خلقه إلى إعمال العقل وخوف الله ¹.

وقيل: نزلت متفرقة فاقتضى الإظهار ².

وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه ³.

كَمَا ذكرت كلمة جنتان في مواقع مختلفة من السورة وهذا لتقرير فضل الله المضاعف على عباده الصالحين قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ الرَّحْمَنِ (46).

وقال تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الرَّحْمَنِ (54)، فحالة المؤمنين في الجنة حالة تدل على النعيم والرفاهية فالجنة تحتوي على كل مالم تراه عين ⁴.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانٍ﴾ الرَّحْمَنِ(62).

أَيَّ أَنَّ هناك جنتان أخريان لمن اتقى ربه وخافه، ومن صفاتهما أَنهما شديدتا الخضرة كما أَنهما فوارتان بالماء وفيهما العديد من الفاكهة والنساء الخيرات...

وهذا دليل على النعيم والرفاهية ⁵.

ووردت لفظة "الإحسان" مرتين لأَنَّهُ سبحانه وتعالى يؤكد أَنَّهُ من عمل خيرا فسيجزى بأحسن منه، حيث قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ الرَّحْمَنِ(60).

¹ المرجع نفسه، نفس الصفحة.

² الكرمانى، أسرار التكرار، ت: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، ص 231.

³ الزمخشري، الكشاف، ت: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ: علي محمد معوض، مكتبة العبيكة، ط1، 1418هـ 1998م، ج06، ص07.

⁴ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1998م، ج5، ص278.

⁵ نفسه، ص 279.

فحالة المحسنين في الجنة وهم متكئين على فراش من ديباج وثمار الجنتين قريب منهم، إضافة إلى النساء الموجودة في كلاهما اللاتي يتميزن بالشفافية هذا عملوا خيرا فيجزون بمثله¹.

وكرر سبحانه وتعالى الفعل "خلق" ثلاث مرات في قوله عزو جل: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ الرحمن الآية (03).

وقال: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ الرحمن الآية (14) .

وقال: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ الرحمن الآية (15).

فأصل البشر هو الطين وشبهه بالفخار، أي الطين المطبوخ بالنار وأصل إبليس هو اللهب². كما أن الطين يوحى إلى البساطة والتواضع، أما اللهب فإنه مبحث للعذاب الشديد.

-والفعل "علم" فقد تكرر مرتين، حيث قال تعالى: ﴿ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ الرحمن (02).

وقال عزو جل: ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ الرحمن الآية (04).

افتتحت السورة باسمه العظيم لما فيه من تشويق وبعدها ذكر سبحانه وتعالى نعمه العديدة التي تقدمها نعمة تعليم القرآن لما فيها من نفع كبير ورتبة عالية ونعمة تشريف بالوجود وكذا نعمة الاستعداد للتعلم³.

فكلمة الرحمن تدل على رحمته سبحانه وتعالى بعباده ورأفته عليهم ومنه تنبثق نعمة المختلفة على عباده والتي لا تحصى ولا تعد...

وبالنسبة للفعل "وضع" فقد تكرر كذلك في موضعين، وهما: قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴾ الرحمن الآية (07).

¹ البخاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط2، 1990م، ج13، ص335.

² النيسابوري، القرآن الكريم، وبهامشه مختصر تفسير الطبري، دار ابن هيثم، القاهرة، ط1، 1421هـ، ص531.

³ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص230-233.

وقال أيضا: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ فوطاً الإنسان الأرض، وهذا دليل على رحمة الله بالعباد لأن الله سبحانه وتعالى سخر الأرض وما تحتويه من ثمار وغيرها لخدمة الإنسان¹.

وورد كذلك تكرار الفعل: "تنفذوا" ثلاث مرات، حيث قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ الرحمن الآية(33).

فلا يمكن العبور والنفوذ إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته².

فإذا قال للشيء كون فيكون، والملاحظ، أنّ تكرار هذه الأفعال من أجل الدلالة على عظمته وجبروته سبحانه وتعالى.

أمّا عن تكرار الجمل فقد تكرر قوله عزو جل: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن الآية (13)، واحد وثلاثين مرة تقريراً للنعمة، لأنّه سبحانه وتعالى ذكر في هذه السورة نعمة وآلاءه العديدة كنعمة تعليم القرآن، وخلق الإنسان، والشمس والقمر، والأرض والسماء... إلى غير ذلك ممّا أنعم به على خلقه، كمّا أنّه فصل بين آلائه بواسطة هذه الآية المباركة للتذكير، كما جاءت في بصيغة سؤال واستفهام للتقرير، والدليل على ذلك أنّ صلوات الله وسلامه عليه، قرأ على صحابته الأخبار سورة الرحمن حتى ختمها فلم يجبه أحد لم يعجبه الأمر وأجابهم أنّ الجن أحسن منهم لأنّهم عندما يستمعون للآية المكررة يقولون: لا شيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد، لذلك يبين للسامع للسورة أنّ يجيبه³.

فعروس القرآن كانت تعداداً شاملاً لنعم الله تعالى على خلقه، وحسب دراسة للكرماني في كتابه: أسرار التكرار، فإنّ التكرار الوارد في سورة الرحمان في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ راجع إلى:

¹ أنظر النيسابوري، القرآن الكريم، ص 531.

² المرجع نفسه، ص 532.

³ الفتوحى البخارى ابو الطيب، المرجع السابق، ج 13، ص 314.

(حيث تكررت الآية فيها احدى وثلاثين مرة، ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وحسن ذكر الألاء عقبها لأن في صفها ودفعها نعمًا توازي النعم المذكورة أو لأنها حلت بالأعداء، وذلك أكبر النعماء، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنان وأهلها على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها للجنات اللتين دونهما)¹.

فهذا الاستفهام الإيقاعي: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ينفي كل احتمال للقدرة على التكذيب بآلاء الرحمن، ومن الطبيعي أن يكون هذا الإيقاع المتسق أكمل اتساق في سورة اسمها الرحمن².

إنّ فهذه الفاصلة الإيقاعية وسيلة فنية ودعوة متجددة إلى التحليل والتأمل بنعم الله وآلاءه، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر.

إنّ فمن السمات الأسلوبية اللافتة للنظر تكرر الآية: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ من السورة، حيث أشار عبد المالك مرتاض إلى العمل الذي قام به على هذا التكرار، وهو تكثيف سطح الخطاب والتأثير في طبيعة بنائه ومعمارية نسجه³. كما أنّ للمقطع "آن" دور في نسج هذه السورة العروس، حيث مكن للإيقاع وثبته، وهو المقطع الذي طالما تكرر في السورة سواء في الآيات المتكررة أو غير متكررة، حيث يعلق عبد المالك مرتاض بقوله: من الوظائف الأسلوبية لتكرار هذه الآية أيضا أنّه منح نسج هذه السورة العروس شيئاً كثيراً من التمكن والثبات للإيقاع الذي تقوم عليه وهو مقطع "آن".

كما نبّه للمقاطع المتكررة في سورة الرحمن، والتي أعطت لخطاب السورة إيقاعاً خاصاً، ساهم في اتساق الحروف والكلمات والآيات فيما بينها، ممّا انعكس على انسجام الخطاب

¹ الكرمانى، المرجع السابق، ص231.

² نفسه، ص232.

³ ينظر عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص226.

ككل ومن بين هذه المقاطع المتكررة: (بان تكررت 32 مرة) (جان تكررت 06 مرات) (شان تكررت 04 مرات) (يان تكررت 04 مرات) (تان تكررت 04 مرات) (زان تكررت 03 مرات) (مان تكررت 02 مرات) (آن تكررت مرتين) (دان تكررت 02 مرات)¹.

وهي حروف تتحد مع بعضها لتعبر عن قوة الله وجبروته وشدته .

وفيما يخص حرف المد فنلاحظ أنه لزم السورة من بدايتها إلى نهايتها حتى أنه كان واضحا للعيان حيث بلغت مواطن ووده مائة وواحد وسبعون مرة، وهذا ما زاد السورة موسيقى عذبة وتجانسا تطرب الأذن لسماعها كيف لا وهي المسماة عروس القرآن.

والآية الكريمة: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئُنَّ مِنْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ الرَّحْمَن (56).

ومثله قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئُنَّ مِنْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ الرَّحْمَن الآية (74).

وهاتان الآيتان تحملان المعنى نفسه وهو الطهارة، وقد كررتا للتدقيق في الوصف.

أما عن تكرار الحروف والأصوات فقد أخذ حقه ونصيبه الوافر ففي قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرَّحْمَن الآيات (1-2-3-4)، تكرر حرف النون في هذه السورة الكريمة مئة وثمانية وثلاثون مرة، وهو صوت يوحى إلى الهدوء والطمأنينة، كما أنه يبعث الراحة في النفس التي تظهر لنا قدرة الله العظيمة والباهرة في تمعن².

كما تكرر حرف اللام، والميم، والراء مرات عديدة، وهذا في مثال قوله: الجلال، الإكرام، ربكما...

2. التكرار الدلالي :

في سورة الرحمن نجد الكثير من الأفعال التي تحمل تقريبا الدلالة نفسها مثل: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ الرحمن الآية (50)، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ الرَّحْمَن الآية (66) مع،

¹ المرجع نفسه، ص 227-228.

² المرجع السابق.

وفي قوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ﴾ الرَّحْمَنُ الْآيَةِ (68)، فهنا ذكر الخاص بعد العام وهذا للتخصيص، ونحن نعرف أَنَّ النخل والرمان فاكهتان محبوبتان: التمر والرمان، وفي قوله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ الرَّحْمَنُ الْآيَةِ (56)، وقوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ الرَّحْمَنُ الْآيَةِ (72)، فهاتان الآيتان تحملان المدلول نفسه ونستنتج من هذا التكرار المعنوي وصف عفة وإخلاص نساء الجنة ومدى طهارتهن، فالجنة مكان طيب للطيبين ...

وقوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ الرَّحْمَنُ الْآيَةِ (08)، مع قوله ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ الرَّحْمَنُ الْآيَةِ (09)، فالمعنى الدلالي لهاتين الآيتين هو العدل .

ب- بنية السورة (الهيكل):

يطلق على بنية السورة الرَّحْمَنُ أَنَّها البنية السكونية وتنقسم إلى ثلاثة اقسام :

1. البنية الأولى أو البنية الكونية :

وتجسد التذكير بالله وتتحدث عن نظام الكون، وخلق الإنسان ليتمتع بما لهذا الكون من جمال عظيم وليعمر الأرض بالتعلم والعمل وليقترب إلى الله بالعبادة والتقوى وليسبح بحمده.

2. البنية الثانية أو البنية العقابية:

وتمثل الوعيد والترهيب، وتتمحص لوصف جهنم التي أعدَّ الله للمجرمين من الكافرين، وكيف أنَّه جعل نارها حامية، وأنَّه يرسل على المعذبين فيها وبها شواظ من هذه النار، وأنَّ الجن والإنس في ذلك كله سواء .

3. البنية الثالثة أو البنية التوابية أو النعيمية:

وترتكز على تصوير موافق النعيم، وتصف أطرافاً من مظاهر الجنة، وفيها ورد أسلوب الترغيب .

ولعل النظام الإسمي لهذه السورة يجعلنا نميل الى عدها جملة مندرجة تحت بنية واحدة عامة هي البنية السكونية .

وما رأيت من تقسيمنا الثلاثي ، لا يعدو كونه إجراء تفصيليا لهذه البنية الأم¹.

ج- الفاصلة في سورة الرحمن : (إيقاعاتها وخصائصها):

أولا : الإيقاع :

تعد الفاصلة القرآنية ظاهرة من الظواهر الصوتية التي تمثل البنية الخارجية للبنية الإيقاعية وهي بدورها تدعم البنية الداخلية الإيقاعية .

إنّ الإيقاع في مقاطع الفواصل أثر كبير في تحسين الكلام وتجويده وإيضاح المعنى، إذ له أثر كبير في النفس وبعد أنّ يقرع الأذن ويهز القلوب، كما أنّ الفاصلة في القرآن لها إيقاع واضح وجلي بفضل التناسق الدقيق للحروف، أو الوحدات الصوتية داخل اللفظة الواحدة، فالقارئ أو المستمع للقرآن الكريم يلمس فيه تلك المناسبة بين الألفاظ ومعانيها، فلا المعنى سابق الفاصلة ولا الفاصلة ينبغي لها أن تسبق المعنى ولا هما معا على حساب سياق الكلام وأحواله، فنجد الفاصلة تراعي المعنى والسياق، والجرس وخاتمة الآية وجو السورة، وكل ما يتعلق بوجود التعبير وجماليته، فورها كما هي عليه ما يبرر فنيا ولغويا، فقد اهتم العرب بالأصوات فكانوا : "إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء، وما ينون وما لا ينون، لأنهم أرادوا مد الصوت"².

ختم الفواصل بحروف المد واللين وإلحاق النون في سورة الرحمن وفق الطبيعة الإيقاعية ، وهذا ما إبان عن السر الصوتي في السورة ،ولتوضيح ذلك :

¹ عبد المالك مرتاض ،المرجع السابق ، ص226.

² يسوية أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1-

1991م، ج4، ص575.

أولاً: وردت الألف مقترنة بالنون بشكل كبير في فواصل سورة الرحمن على شكلين¹ :

أ-ورودهما متتالين وهما الألف والنون من أصل الكلمات وجزء لا يتجزأ منهما كما في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ سورة الرحمن الآيات (1،2،3،4،5).

ب- ورد الألف والنون متتالين ولكن ملحقان بالكلمات وليس من أصلها علامة على الرفع ودلالة على التشبيه في قوله تعالى: " وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ "الرحمن (20،21)، ففي كل موضعين يمد الصوت فيتحقق الترتم .

ويمكن القول أن هذه الحروف (المد واللين وإلحاق النون) تخلق لنا جو من الإطراب والمتعة بفضل ما تحدثه عن نغم ميل ينشرح له الصدر ويهفو له القلب وتستلذه الأذن لأنها فعلا ظاهرة صوتية تلقي بظلالها على الكثير من الفواصل القرآنية وما تفتأ تعطينا الجمال والمتعة، وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها مجمل الموسيقى، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرآن"².

كما تميزت خصائص سورة الرحمن على أنها تنتهي بها الفواصل أن تكون متطابقة، بل يمكن أن تكون متقربة، كما في قوله : ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ * وَالنَّخْلُ دَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ ، تقع الفاصلة عند استراحة في الخطاب، وهي الطريقة التي يختلف فيها القرآن عما سواه من الكلام³.

¹ الرافعي، تاريخ أداب العرب، ج1، ص216-217.

²المرجع السابق.

³ عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، 1982م، ص06.

اتفاق الكلمتين في الوزن وحرف الروي: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ الرحمن الآيتان (5-6).

تكرار فاصلة حرف النون وصفاته الصوتية أنه صامت أسناني لثوي ،أنفي، مانع (متوسط مجهور¹).

نجد في سورة الرحمن التي تطالعنا بهذه الفاصلة التي تكررت كما قلنا سابقا احدى وثلاثين مرة وهي قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ نجد الحكمة وسببا في تكرارها، وإلا كان عبثا، وتعالى الله وكلامه عن العبث علوا كبيرا .

ويمكننا من خلال ذلك أن نلاحظ ونسجل ما ذهب اليه سيد قطب رحمه الله في ضلاله حيث لاحظ:

أن الصور المتكررة في سورة الرحمن هي أكثر عن السور الواردة في القرآن الكريم، حيث لم تتكرر فاصلة بهذا العدد قط.

-التكرار الذي مهدت له السورة استرعى السامع وأخذ بلبه فجاء هذا التكرار بعد اثنتي عشرة عذوبة الفواصل ما لا يحيط به وصف، فلم يهجم بهذا التكرار على النفس هجوما مستوحشا، فنراه تدرج مع النفس وأخذها شيئا فشيئا حتى أنست وأزال وحشها اتجاه هذا التكرار² .

ومن أهم ما يميز هذه السورة أنها تعددت نعم الله تعالى على خلقه سواء من الجن أم الإنس، وبعد كل نعمة من نعم الله الفاصلة: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ولعل هذا ما يسهل علينا فهم علة التكرار، وحكمته بهذا الشكل الذي جعلت به سورة الرحمن، فهو تذكير وتقدير لحكمة الله التي لا تحصى ولا تعد، ولا يمكن إنكارها إلا من قبل جاحد معاند فنيل

¹ صبحي ابراهيم الفقهي، علم اللغة (النص بين النظرية والتطبيق)، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، عبده غريب، مصر، القاهرة 2000م، ص138.

² ينظر: سيد قطب ،في ضلال القرآن، دار الشروق ،القاهرة، ط17-1412هـ/ص 263.

كل نعمة بما يربط المنعم عليهم بالمنعم مذكرا اياهم بقدرته، ولطفه بهم في انعامه عليهم، وهذا بالطبع ركن ركين في علاقتنا مع الله، فوجب التأكيد عليه وتوبيخ من تجاهله¹.

يقول ابن الجوزي، رحمه الله: "ذلك التكرير لتقرير النعم وتأكيد التذكير بها"

قال ابن قتيبة: "من مذاهب العرب التكرار للتوكيد والافهام، كما أن من الاختصار للتخفيف والايجاز لأن افتتان المتكلم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد، فلما عدد الله في هذه السورة نعماءه وذكر عبادته وآلاءه، ونبههم على قدرته، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل نعمتين ليفهمهم النعم ويقرروهم بها"².

ونلاحظ أنّ السورة اشتملت على النعم وأيضا فيها ذكر للوعيد والتهديد كما قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ الرَّحْمَنُ 35

إذا فالتكرار كما قلنا يفيد تعدد النعم من الله، وكذلك دفع الشر، فالله سبحانه وتعالى عندما يعصم الإنسان بين الخطأ ويبعده عن الشر فهذا في حد ذاته نعمة عظيمة من الله عزو جل.

فهنا كررت الفاصلة "﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾" لأنها جاءت أيضا بعد نعمة، هي غير ظاهرة، ولكن المتدبر لها يفهم المعنى... فحماية الإنسان من نار جهنم أكبر نعمة من الله عزو جل على العبد.

ثانيا: التصوير الفني في سورة الرَّحْمَن :

إنّ النصّ القرآني يفرض على المستمع الإنصات والإصغاء سمعا وقلبا، وهذا بفضل الإيقاع الصوتي المميز له.

¹ ينظر، الشوكاني، فتح القدير،مراجعة :يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط 4 - 1428هـ/2007م،ص85-بتصرف-.

² من الانترنت، راجع :زاد المسير :5-461

أ-الإيقاع الصوتي في سورة الرَّحْمَن :

لقد اتسم أسلوب القرآن الكريم بإيقاعات داخلية بالغة الدقة والتأثير فالإيقاع في القرآن لا يحدث بوجود الوزن والقوافي كما في الشعر، بل هو قائم على مؤثرات أخرى داخلية أكثر دقة، ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال قراءة فاحصة ، ذوقية ومعرفية معا .

ولو تأملنا آيات القرآن الكريم لما وجدنا لفظا متنافرا في بنيته ولا ناشزا مع غيره، فالإيقاع القرآني يظهر لنا في مستويات عدة، منّ نسق الكلمة التي تشكلها الحروف إلى بنيتها وملاءمتها للتركيب والسياق، ويختلف تأثير الإيقاع باختلاف الفواصل، وتكرارها الموقع الذي ينبعث من تألف الحروف في الكلمات وتناسق الكلمات في الجمل، ومرده إلى الحس الداخلي، والإدراك الموسيقي الذي يفرق بين إيقاع موسيقي متناسق وإيقاع مضطرب¹.

بل أنّ هناك ملائمة بين المعنى والإيقاع، فلفواصل دور في جمالية الموسيقى والمعنى فإذا تأملنا في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ فضلا عن افتتاح السورة بهذه الكلمة بإيقاعها الصاعد والذهاب إلى بعيد يجلب في طباق الوجود، ويخاطب كل موجود ويتلفّت على رنته كل كائن، وهو يملأ فضاء السموات والأرض، ويبلغ كل سمع وكل قلب والتي تمثل إيقاعا موسيقيا محكوما بنسق الآية وسياقها، فضلا عن دلالتها التي تكتمل معها الصورة التي تحاول الآية أن ترسمها، فتأتي مطابقة لأفق توقع المتلقي.

ب-النغمة الصوتية :

وتتجلى في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53)﴾ الرحمن الآيتان (52-53)، تنبه ابن عاشور للمعنى الجمالي للواصل تعليلا لحالة الفرح والبهجة بإيقاع الفواصل: تجريان، تكذبان، زوجان أسهم في تكوين تناسق تصويري منسجم مع الحالة، ولأنّ هذه

¹ سيد قطب ،التصوير الفني في القرآن ،دار الشروق ،القاهرة ،ط16-2002،ص230-228.

الكلمات تعد في حالة الوقف مثل القوافي في الشعر فلو قيل : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴿ سقطت الفاصلتان، وذلك تقريظ في المحسنين¹.

ج- نماذج من التصوير الفني في سورة الرَّحْمَنِ :

قلنا في الجانب النظري أنّ التصوير الفني كما عناه سيد قطب-رحمه الله -في كتابه التصوير الفني في القرآن هو التعبير عن المعنى الذهني والحالة النفسية والحادث المحسوس والمشهد المنظور والنموذج الإنساني والطبيعة البشرية، كل ذلك بالصورة المحسنة المتخيلة ثم منحها الحياة الشاخصة والحركة المتجددة أي أننا نستنتق السورة وكأنّها امامنا، فمن المادة إلى المحسوس².

1- قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (6) سورة الرَّحْمَنِ الآية (06)، فالتأمل لهذه الآية يتخيل فعلا سجود النجم والشجر وكأنه قيام بالسجود المعهود، لكن المقصود هو سجود نجوم السماء هو نزولها إلى جهات غروبها وسجود نجم الأرض التصاقه، بالتراب كالساجد، وسجود الشجر تطأطئه لهبوب الرياح ،ودنوا أغصانه للجانيين لثماره ،والخابطين لورقه. وتثبتته ارتسام ظلالها على الأرض بالسجود...مما يمنح القلب البشري متاعا عجيبا وهو يشعر بكل ما حوله حيا، يعاطفه ويتجه معه إلى خالقه، وهو في وقفته بين أرواح الأشياء كلها وهي تدب فيها جميعا وتحيلها إخوانا له ورفقاء³.

2-وقال تعالى: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40) يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَفْدَامِ (41) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42) الرَّحْمَنِ الْآيَات (36-42).

¹ محمد الطاهر بن عاشور ،المرجع السابق، ص108.

² أنظر :سيد قطب ،المرجع السابق، ص36-38.

³ محمد الطاهر بن عاشور ،المرجع السابق ،ص222.

تبدأ مشاهد القيامة هنا بانشقاق السماء وللمرة الأولى نشهد بها حمراء وردة كالدهان، ونرى كذلك مشهدا غريبا علينا بعض الشيء في مشاهد القيامة، فسيماء الوجوه تدل عليها، والمجرمون يعرفون بسيماهم وبلا سلام ولا كلام يؤخذ بنواصيهم وأقدامهم فيقذفون حيث لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان، وما الحاجة إلى السؤال والوجوه ناطقة والفريقان معروفان¹.

3- وقال تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آِنٍ (44)﴾ سورة الرحمن الآيات (43-44).

بينما الأخذ بالنواصي والأقدام يذهل العقول ويرجف الأفئدة توجه أنظارنا إلى حقيقة الموقف، هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، هذه هي وهامهم أولاء يطوفون بينها وبين حميم أن، متناه في الحرارة، وهم يتراوحن بين جهنم وبين هذا الماء الآني فيا له وبألها من عذاب².

4- قال تعالى : ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (46) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَكَيِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئُنَّ عَنْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60)﴾ سورة الرحمن (46-60)، فالجنتان الأوليان هما ذواتا أفنان فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان وأهل الجنتين ما حالهما؟ أنظر تجددهم متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وتلك رفاهة ظاهرة في الفراش وجنى الجنتين دان، لا يتعب في القطاف، وذلك أيضا ترف ملحوظ، ولكنه لا يستقصى ما فيهما من متاع...³.

¹ سيد قطب ،المرجع السابق، ص 250-251.

² نفسه، ص251.

³ المرجع السابق،الصفحة نفسها ،

وكأننا نلاحظ الصورة مجسده أمانا والسعادة التي يعيشها أهل الجنة فتكاد الكلمات تتطرق وتعبّر عن المشهد العظيم .

5- قال تعالى: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63) مُدْهَمَّتَانِ (64) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (66) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ (68) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) ﴾ سورة الرحمن الآية (62-76)، ومن دونهما جنتان، أخريان لذلك الفريق الآخر وأوصافهما كذلك أدنى من أوصاف هاتين فهما مدهامتان أي مخضرتان خضرة تميل إلى السواد لما فيهما من أعشاب، فيهما عينان نضاختان، تتضخان بالماء وتتبضان، وذلك دون الجريان، فيهما فاكهة ونخل ورمان، وهناك من كل فاكهة زوجان، فيهن خيرات حسان، ومن هن هؤلاء الخيرات الحسان هن حور مقصورات في الخيام، ومن كلمة الخيام نفهم أنّهن أشبه بالبدويات وأنه نعيم بدوي دون النعيم الحضري الذي مر في تلك الجنتين الآخرين، لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان، فهن يشتركن بالصوت والعفاف مع أولئك، لكن لم يذكرهن أنهن كأنهن الياقوت والمرجان وأهل هاتين الجنتين انظر تجدهم متكئين على رفرف خضر أي أبسطة، وعبقري حسان، وهي جميلة كأنها من صنع عبقر، ولكن المتكآت كانت هناك مبطنة بالإستبرق وهناك جنى الجنتين دان هما درجتان من النعيم، تمثل الدرجة الأولى بالترف والرفاهية في الحضر، وتمثل الثانية الترف والرفاهية في الوبر¹ .

ثالثا: التقديم والتأخير في سورة الرحمن :

¹ المرجع السابق، ص 252.

قال الإمام فخر الدين الرازي فيما نقله عن أبي حيان التوحيدي: (إنَّه لا يقال في شيء من القرآن، إنَّه قدم أو أخر لأجل السجع لأنَّ معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ، بل فيه وفي المعنى)¹.

فقد يقدم القرآن من الكلام ما يعتقد فيه التأخير والعكس كذلك وهذا لسر بديع، أو لغرض خفي، وسنحاول عرض بعض النماذج من السورة الكريمة الرحمن :

1- قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)﴾ الرَّحْمَن الآيات (1-4).

نلاحظ في هذه الآية الكريمة تقديم المسند اليه وتأخير المسند وإنما أريد به شيان إتان :

الأول: تشويق جميع السامعين الى الخير الذي يخبر به ،اذ كان المشركون لا يألفون هذا الاسم، قال تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ الفرقان الآية(60)، فهم إذا سمعوا هذه الفاتحة ترقبوا ما سيرد من الخبر عنه والمؤمنون إذا طرق أسماعهم هذا الاسم استشفروا لما سيرد من الخبر المناسب لوصفه هذا مما هم متشوقون اليه من آثار رحمته².

والثاني: لإفادة التخصيص أي هو الرحمن الذي علم القرآن، لا بشر علمه، وهو الذي خلق الإنسان لا غيره، وهو معلم الإنسان البيان لا سواه، بالإضافة إلى ما يفيد التقديم من تأكيد، وفي ذلك براعة استهلال أيضا .

وقدم سبحانه وتعالى تعليم القرآن على خلق الإنسان، على الرغم أن الإنسان هو محل وقوع النعم وعليه مدار الخلق قائم، وإنما قدم القرآن وتعليمه لأنه أعظم ولأنه يشير من خلال ذلك إلى الغاية من خلق الإنسان وهي تعلم القرآن والعمل به، والغاية متقدمة على ذي الغاية

¹ البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ت: د: عبد السميع أحمد محمد حسنين، مكتبة المعارف،

الرياض، ط1-1408هـ/1987م، ج1، ص178.

² ينظر: 1- الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج27، ص217. 2- الألوسي، المرجع السابق، ج15، ص151 (بتصرف).

ذهنا، وإن كان الأمر بالعكس خارجا ولأنّ به صلاح الناس في الدنيا وبتابعهم إياه يحصل لهم الفوز في الآخرة.

وقد خلق الإنسان على تعليمه البيان لأنّ البيان خصيصة في الإنسان، بها يستطيع فهم القرآن والعمل به، ومن غيرها يفقد إمكانية استخلافه في الأرض¹.

2- وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6)﴾ سورة الرحمن الآية (06)، قدم المسند إليه على المسند لتكون على صورة الجملة السابقة التي عطفت عليها هذه: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ الرحمن الآية (5)، ولما في هذا التقديم والتأخير من تخصيص سجود هذين المخلوقين لله تعالى لا لغيره.

3- وقال تعالى أيضا: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)﴾ الرحمن الآية (7)، أخر الفعل الناصب على الرغم من أنّ الجملة الفعلية وقدم السماء زيادة في الاهتمام بخلقها لما في ذلك من عظيم نعمه على الإنسان، وخاصة أن السورة جاءت على نمط تعداد النعم والألاء، فتقديم السماء زيادة للاهتمام بها².

4- وقال تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ الرحمن الآية (11). تقديم الجار والمجرور يفيد الاهتمام والتركيز والتأكيد، والقول فيه كالقول في تقديم الأرض على فعلها الناصب في قوله: "وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ الرحمن (10)، كما تقدم أيضا في الآية السابقة³.

5- وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ الرحمن الآية (14-15)، تقديم خلق الإنسان على خلق الجان فيه إشارتان: حيث بدأت السورة بالحديث عن الإنسان وتعليمه البيان، كذلك فيها إشارة إلى ما سبق من تفضيل الله

¹ ينظر: 1/ 217-218-219-2/ 151-152.

² أنظر: الطاهر عاشور، المرجع السابق: ج 27/ص 221-222.

³ المرجع السابق، ص 226.

تعالى الإنسان على الجن، حيث أمر الجن بالسجود للإنسان...وما ينطوي في ذلك على تقديم مصالح الإنسان على مصالح الجان، ومن استحقاقه لعمارة الأرض دون الجن¹.

6-قال تعالى: "رب المشرقين ورب المغربين، جاء التقديم للسبق، كما جاء في البرهان².

7-وفي قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَّقُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَاتَّقُوا لَا تَتَّقُوا إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ الرحمن الآية(33)، تقديم الجن على الإنس فالآية جاءت على قاعدة خرق الناموس الكوني، وجاءت للتحدي والاستفزاز، والمعلوم أن الجن أقدر من الإنس على الإتيان بالخوارق والمعجزات وما لا قيل للإنسان به ولذلك ابتدأ الخطاب بهم³.

8-وقال أيضا: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ الرحمن الآية(39). هنا قدم سبحانه وتعالى الإنس على الجان لأن الإنس هم المكلفون في الدنيا، وعليهم يقع خطاب التكليف بالإجماع، وما وقع بين العلماء من خلاف حول تكليف الجن من عدمه كاف للقول بأن الإنسان هو غاية الخلق كما ورد في بداية السورة: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن الآيات(3-4).

إذا فالمسؤولية واقعة عليه ضمن التكليف الذي حمله الإنسان دون غيره من المخلوقات...⁴.

أما عبد الفتاح لاشين في كتابه: "صفاء الكلمة" فيقول: تقدم لفظ الإنس على لفظ الجن، حيث إن لفظ الجن لا يتناول الملائكة بحال لنزاهتهم عن العيوب، وإنه لا يتوهم عليهم الكذب ولا بقية الذنوب، فلا يتناولهم عموم لفظ الجن، فبدأ بلفظ الإنس لكمالهم وفضلهم¹.

¹ المرجع نفسه، ص229-230.

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ج3، ص239/243، -بتصرف-

³ الألوسي، المرجع السابق، ص175.

⁴ المرجع السابق، ص175-بتصرف-

وأما تقديم الجن في مواضع أخرى فلأنهم أقدم في الخلق ².

9- قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (46) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52)﴾ الرحمن الآيات (46-52).

أخر الله سبحانه وتعالى ذكر الفاكهة بعد ذكر العينين الجاريتين، على الرغم من أنها أقرب إلى ذكر الأفنان، حيث إنّ الأغصان حاملة الثمار والفاكهة أي أنه فصل بين ذكر الأفنان وذكر الفاكهة بذكر العينين الجاريتين، ولذلك سبب طريف وفيه دليل على إعجاز هذا الكتاب العزيز، فالأفنان تحتاج إلى ري وسقي بالماء لتتبت الزهر والثمر والفاكهة، والله تعالى أعلم.

10- وفي قوله تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (54) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئُنَّ عَنْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58)﴾ الرحمن الآيات (54-58)، تقدم الاتكاء على ذكر النساء وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (73) لَمْ يَطْمِئُنَّ عَنْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيِّ حِسَانٍ (76)﴾ الرحمن الآيات (70-76)، فأخر الاتكاء عن ذكر النساء، وذلك لأنه في الجنيتين الأولين ذكر الخوف 46، فأراد أن يشعر أهل الجنتين بالأمن والاطمئنان أولاً فقدم ما فيه إشعار بالطمأنينة والراحة، وهو الاتكاء فإنه من شأن الأمتين، وفي الجنيتين الأخريين لم يذكر الخوف فلا يستدعي ذلك ذكر ما يشعر بالأمن، إذ هو متوفر وموجود ولكنه قدم النساء إذ هي نعمة للمطمئن الأمن ³.

¹ عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة، دار المريخ، الرياض، 1982م، ص218.

² الزركشي، المرجع السابق، ص25.

³ الألوسي، المرجع السابق، ص193.

11- وقال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (56) .. ﴿الرحمن الآية 56، فهذا التقديم لحكمة أخرى وهو أَنَّ النفي في الآية تابع لما تعلقه القلوب من الإثبات، فيرد النفي عليه، وعلم النفوس بطمث الإنس ونفرتها من طمثها وهو المعروف، فجاء النفي على مقتضى ذلك، وكان تقديم الإنس في هذا النفي أهم¹.

وذكر في هذه الآية الكريمة الجار والمجرور العائد على الفرش، وآخر نعمة الاستئناس بالنساء عما في الجنة من الأفنان والعيون والفواكه، ليكون ذكر الفرش مناسبا للانتقال إلى الأوانس من الحور في تلك الفرش، وهو قريب مما ذكر أنفا².

12- وقال أيضا: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ الرحمن الآية (68)، فقدم الفاكهة على النخل والرمان وهما منها وذلك لاختصاصها وبيان فضلها، كأنهما لما لهما من المزية جنسان أخران.

كقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ سورة البقرة الآية (97)، أو لأنَّ النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه³.

رابعاً: الذكر والحذف :

تعرفنا على الذكر والحذف في الجانب النظري وسنحاول تطبيق ما تعرضنا له على سورة الرحمن

1- قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5)﴾ الرحمن الآيات (2-5) نلاحظ أنه حذف فيها العاطف، لأنها جاءت على نمط التعديد وسنن التهديد

¹ عبد الفتاح لاشين، المرجع السابق، ص 216.

² الطاهر عاشور، المرجع السابق، ص 250.

³ الزمخشري محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيوب الأفاويل في وجوه التأويل، ط3-2003، دار

الكتب العلمية، بيروت . ج4، ص242.

في مقام الإنسان والتوقيف على الحقائق والتبكيك للخصم في انكارهم لبعضه، واعراضهم من البعض الآخر.

فتكون كل جملة واحدة من الجمل مستقلة في تفريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه... وفيها كذلك إشارة إلى أن كل واحدة من هذه الجمل تتضمن نعمة مستقلة تقتضي الشكر، وقد قصروا في أدائه، ولو عطف مع شدة اتصالها وتناسبها ربما توهم أن الكل نعمة واحدة .

2- وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10)﴾ الرحمن الآيات (6-10)، ذكر العاطف، وذلك رد للكلام إلى منهاجه يعد التبكيك في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف، والتناسب والتقارب واضحان في ذلك أشد الوضوح، فالشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان، والسماء والأرض لا تزالان قرينتين، وجري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لأمر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وكذلك بين رفع السماء ووضع الأرض

والأخبار الواردة بعد حروف العطف لم يقصد بها التعداد، إذ ليس فيها تعريض، توبيخ المشركين...¹.

وذكر الميزان في هذه الآيات ثلاث مرات ولم يستغن بالضمير عن ذكر اللفظ، وذلك لإعلام العباد بما به قوام أحوالهم واستقامة أديانهم من إجراء أمورهم على العدل الذي أمر به سبحانه وتعالى... وفيه إشارة جلية إلى مراعاة العدل في جميع ما يتحراه الإنسان من الأفعال والأقوال².

¹ ينظر: الزمخشري، المرجع السابق، ج4، ص433.

² الغرناطي، أحمد بن الزبير، ملاك التأويل القاطع بذی الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1-1983م، ج2، ص1056/1057-بتصرف - .

وقد رأينا كذلك كلمة "الميزان" في دراستنا لعنصر التكرار، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تشديد التوصية وتأکید الأمر باستعماله والحث عليه .

3- وقال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)﴾ الرَّحْمَنُ الْآيَةُ (27)، وقال أيضا ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)﴾، جاءت الأولى بعد ذكر مشهد الانقلاب الكوني ونهاية الحياة الدنيا وفناء من كان على الأرض فناء تاما فناسب ذلك ذكر البقاء، وعبر بالوجه عن الذات من باب الكناية لأنها أبلغ من التصريح كما هو مقرر في علم المعاني .

واختتم السورة باسمه الكريم كما ابتدأها به، وعندها أفاض في السورة بذكر ألائه ونعمه سبحانه ناسب أن تختتم بالبركة وكثرة الخيرات .

وقد شعر الجريدي بأن التعبير عن الذات بالوجه اقوى دلالة من التعبير عنه بالاسم¹.

¹ ينظر، 1-الألوسي، المرجع السابق ص194، 2-الطاهر عاشور، المرجع السابق ص257.

جالتة

خاتمة:

تطرقنا إلى الإعجاز البياني في سورة الرحمن وتعرفنا إلى بعض منها، وتوصلنا إلى بعض النتائج والتي سنحاول تعدادها:

1. إنّ القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة وهو كنز لا يفنى، وهو نبع فياض كلّما ركز العلماء على جانب منه ودرسوه تفتحت لهم جوانب أخرى، ومستحيل أننا نقول أنّهم قد وصلوا وبلغوا النهاية بدليل أننا في كل مرة نقف على الشاطئ ونكتشف الجديد مع علمائها الأجلاء، فالله الله على دارس القرآن.

2. إنّ الإعجاز البياني أهم نوع من أنواع الإعجاز على الإطلاق ولهذا كان له الحظ الأوفر من الدراسة.

3. الإعجاز البياني في القرآن الكريم يكمن في كلماته بحيث تجد كله كلمة في مكانه المناسب ولا تسد مسدها غيرها

4. إنّ القرآن الكريم خال من التكرار الذي هو فضل من القول ولا فائدة منه، بل هو تكرار مفيد وضروري.

5. البلاغة القديمة درست البيان كونه يشمل جميع العلوم الأخرى عكس البلاغة ما بعد السكاكي والتي انقسمت إلى 3 أقسام وهي علم المعاني ، علم البديع ، علم البيان.

6. القرآن الكريم مصدر أساسي إلهامي لغوي من حيث دلالات الكلمة ومن حيث دلالات المعنى والمضمون، وقد نهل من اللغويون والأدباء والشعراء وكان سنداً لهم على مر العصور.

وسنخلص إلى بعض التوصيات التي نتمنى أن نعمل بها مستقبلاً:

1. ضرورة الاطلاع على تراثنا القديم وإحيائه من جديد.

2. علينا الرجوع إلى دراسة كتاب الله لمعرفة أسرار بيانه والوقوف على جماله الفني وتقوية ملكيتنا الذوقية والمعرفية لفهم تفسيره .

3. علينا أن نعرف ونفهم بأنّ التخصصات كمجال النّحو والصّرف ومجال البلاغة والنقد وعلم اللغة كلها قد نشأت من أصل واحد وهو القرآن الكريم وكانت قديما متحدة فيها بينهما دون فصل لعلم على آخر فكل مكمل للآخر.
4. ضرورة الدعوة إلى الإقبال على دراسة القرآن الكريم من أجل تذوقه واكتشاف مكنوناته ومعجزاته خاصة تلك التي تعد أهم معجزة وهي معجزة القرآن اللغوية والتي أبهرت أهل البلاغة والسلفية قديما : أهل قريش وفحولها.

فهرس الأيات

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	ص
1	﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾	الفاتحة	01	46
2	﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	البقرة	05	64
3	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	البقرة	07	44
4	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى... وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾	البقرة	16	34
5	﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى... صَادِقِينَ﴾	البقرة	23	01
6	﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى... صَادِقِينَ﴾	البقرة	23	01
7	﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿	البقرة	37	45
8	﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ... وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾	البقرة	51	47
9	﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	البقرة	64	66
10	﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾	البقرة	117	66
11	﴿...يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ...يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾	البقرة	219	46
12	﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	البقرة	229	46
13	﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَتَّخِجَ زَوْجًا غَيْرَهُ... ﴾		230	46
14	﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَتَّخِجَ زَوْجًا غَيْرَهُ... النِّكَاحِ .. ﴾	البقرة	237	52
15	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ ...الْخَيْرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	أل عمران	104	61
16	﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا. السَّمَاوَاتِ اللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴾	أل عمران	-108 109	61
17	﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	أل عمران	138	36
18	﴿.. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ... ﴾	النساء	11	50
19	﴿ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ ... ﴾	النساء	90	73
20	﴿ .. أَجَلْتُ لَكُمْ بِهَيْمَةِ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ... ﴾	المائدة	01	45

45	03	المائدة	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾	21
12	31	المائدة	﴿ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ .. ﴾ ..	22
13	31	المائدة	﴿ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ .. ﴾	23
47	45	المائدة	{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا.... }	24
47	45	المائدة	﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾	25
47	38	الأنعام	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ ... إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ... ﴾	26
52	96	الأنعام	﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ... حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	27
14	134	الأنعام	﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ , وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾	28
57	20	الأعراف	﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ... الْخَالِدِينَ ﴾	29
45	23	الأعراف	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ... مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	30
79	40	الأعراف	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا... فِي سَمِّ الْخِيَاطِ.. ﴾ .	31
45	137	الأعراف	﴿.. وَتَمَّتْ كَلِمَتُ... بِمَا صَبَرُوا ... ﴾	32
45	137	الأعراف	﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ .. يُسْتَزْعِفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ ﴾	33
47	142	الأعراف	﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ... وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴾	34
61	8-7	الأنفال	{وَأَذِ يَعِدُكُمُ اللَّهُ... وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ }	35
13	59	الأنفال	﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾	36
14	2	التوبة	﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ ﴾	37
14	3	التوبة	﴿وَأِنْ تَوَلَّيْتُمْ... مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	38
23	33	التوبة	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ...كُلُّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾	39
02	38	يونس	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	40
22	38	يونس	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	41
14	53	يونس	﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾	42
02	13	هود	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ... صَادِقِينَ ﴾	43

22	13	هود	﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾	44
14	20	هود	﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ... يُبْصِرُونَ ﴾	45
14	33	هود	﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾	46
48	30	الحجر	﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾	47
53	75	الحجر	﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾	48
14	46	النحل	﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾	49
02	88	الإسراء	﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ.. ظَهِيرًا ﴾	50
57	120	طه	﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ ... ﴾	51
13	51	الحج	﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾	52
14	57	النور	﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلِبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾	53
46	24-23	الشعراء	{قَالَ فِرْعَوْنُ... وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ }	54
45	59-57	الشعراء	﴿ أَخْرَجْنَاهُم مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	55
34	22	النمل	﴿...وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾	56
45	5	القصص	﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾	57
02	49	القصص	﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	58
14	22	العنكبوت	﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	59
22	4-1	الروم	﴿ اَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ... قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾	60
13	5	سبأ	﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾	61
13	38	سبأ	﴿ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾	62

63	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا... الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾	فاطر	44	13
64	﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾	الصافات	135	12
65	﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا... سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾	الزمر	51	14
66	﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾	الزمر	67	34
67	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا... أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾	فصلت	53	24
68	﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾	الشورى	31	14
69	﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ ... كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾	الدخان	28-25	45
70	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾	الجاثية	23	44
71	﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	الأحقاف	32	13
72	﴿لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْبَا بِالْحَقِّ... آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾	الفتح	27	23
73	﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ﴾	الفتح	27	23
74	﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْنُوا بِحَدِيثِ مَثَلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾	الطور	34-33	02
75	﴿فَلْيَأْنُوا بِحَدِيثِ مَثَلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾	الطور	34	21
76	﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾	الرحمن	4-1	-36 -54 29
77	﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ.. قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكْنُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	المنافقون	10	45

62	14	التغابن	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... غُفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	78
43	1	الطلاق	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾	79
60	3-1	الحاقة	﴿ الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴾	80
13	12	الجن	﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾	81
13	12	الجن	﴿ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴾	82
44	34-33	المدثر	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾	83
36	19-18	القيامة	﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾	84
74	2-1	النبأ	﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴾	85
59	5-4	النبأ	﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾	86
75	32-24	عبس	{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ }	87
44	17	التكوير	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾	88
59	10	المطففين	﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾	89
52	5-3	العلق	﴿ أَفَرَأَىٰ ذُرِّيَّتَكَ الْأَكْرَمَ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾	90
46	6	العاديات	﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾	100
46	7	العاديات	﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾	101
46	8	العاديات	﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾	102

المال

سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (8) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (9) وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (10) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (11) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (12) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (16) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (17) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (18) مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (19) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (20) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (21) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (22) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (23) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (24) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (25) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (28) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (29) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (30) سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ (31) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (32) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُتُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُتُوا لَا تَنْفُتُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظُ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (35) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (36) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (37) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (38) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (39) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (40) يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (41) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (42) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (43) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ أَنْ (44) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (45) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُ (46) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (49) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (50) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (51) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (52) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (53) مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَانُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ

(54) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (55) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (56) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (57) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (58) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (59) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (60) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (61) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (62) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63) مُدْهَمَمَتَانِ (64) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ (66) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (73) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75) مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رُفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبْقَرِيٌّ حِسَانٌ (76) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (77) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78) ﴿٧٨﴾

تفسير الآيات: (ملخص من تفسير الطبري)

بسم الله الرحمن الرحيم

الآية : 1-5

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾.

يقول تعالى ذكره: الرحمن أيها الناس برحمته إياكم علمكم القرآن، فأنعم بذلك عليكم، إذ بصركم به ما فيه رضا بكم، وعرفكم ما فيه سخطه، لتطيعوه باتباعكم ما يرضيه عنكم، وعملكم بما أمركم به، وبتجنبكم ما يُسخطه عليكم، فتستوجبوا بذلك جزيل ثوابه، وتتجوا من أليم عقابه. وروي عن قتادة في ذلك ما حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن مروان العجلي، قال: حدثنا أبو العوام الجعفي، عن قتادة، أنه قال في تفسير الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ قال: نعمة والله عظيمة.

وقوله: خَلَقَ الْإِنْسَانَ يقول تعالى ذكره: خلق آدم وهو الإنسان في قول بعضهم. ذكر من قال ذلك:

-حدثنا ابن حُمَيْد، قال: قال: حدثنا مهران، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة خَلَقَ الْإِنْسَانَ قال: الإنسان: آدم صلى الله عليه وسلم¹.

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة خَلَقَ الْإِنْسَانَ قال: الإنسان: آدم صلى الله عليه وسلم.

-وقال آخرون: بل عنى بذلك الناس جميعا، وإنما وحد في اللفظ لأدائه عن جنسه، كما قيل: إن الإنسان لفي خُسْر والقولان كلاهما غير بعيدين من الصواب لاحتمال ظاهر الكلام إياهما.

وقوله: عَلَّمَهُ الْبَيَانَ يقول تعالى ذكره: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْبَيَانَ.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بالبيان في هذا الموضع، فقال بعضهم: عنى به بيان الحلال والحرام. ذكر من قال ذلك:

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله عَلَّمَهُ الْبَيَانَ: علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه، ليحتجّ بذلك على خلقه.

حدثنا ابن حُمَيْد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن سعيد، عن قتادة عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الدنيا والآخرة ليحتجّ بذلك عليه.

-حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن مروان، قال: حدثنا أبو العوّام، عن قتادة، في قوله: عَلَّمَهُ الْبَيَانَ قال: تَبَيَّنَ لَهُ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وما يأتي، وما يدع.

وقال آخرون: عنى به الكلام: أي أن الله عزّ وجلّ علم الإنسان البيان. ذكر من قال ذلك:

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، هجر للطباعة والنشر والتوزيع
والإعلان، القاهرة، ط1-2001م، ص 168-278.

-حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: عَلَّمَهُ الْبَيَانَ قال: البيان: الكلام.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أن الله علّم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودُنياه من الحلال والحرام، والمعاش والمنطق، وغير ذلك مما به الحاجة إليه، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك، أنه علّمه من البيان بعضا دون بعض، بل عمّ فقال: علّمه البيان، فهو كما عمّ جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: الشمس والقمر بحسبان، ومنازل لها يجريان ولا يعدوانها. ذكر من قال ذلك:

-حدثنا محمد بن خلف العسقلاني، قال: حدثنا الفريابي، قال: حدثنا إسرائيل، قال: حدثنا سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ قال: بحساب ومنازل يرسلان.

-حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ قال: يجريان بعدد وحساب.

-حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ قال: بحساب ومنازل.

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ: أي بحساب وأجل.

-حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ قال: يجريان في حساب.

-حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ قال: يحسب بهما الدهر والزمان لولا الليل والنهار، والشمس والقمر لم يدرك أحد كيف يحسب شيئاً لو كان الدهر ليلاً كله، كيف يحسب، أو نهارة كله كيف يحسب¹.

-حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن مروان، قال: حدثنا أبو العوام، عن قتادة الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ قال: بحساب وأجل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهما يجريان بقدر. ذكر من قال ذلك:

-حدثنا أبو هشام الرفاعي، قال: حدثنا عبد الله بن داود، عن أبي الصهباء، عن الضحاك، في قوله: الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ قال: بقدر يجريان.

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهما يدوران في مثل قطب الرجا. ذكر من قال ذلك:

-حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا إسرائيل، قال: حدثنا أبو يحيى عن مجاهد وقال: حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: بِحُسْبَانٍ قال: كحسبان الرجا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: بِحُسْبَانٍ قال: كحسبان الرجا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل، لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبته حساباً وحسباناً، مثل قولهم: كُفِرَته كفراناً، وعُفِرَته عُفْراناً. وقد قيل: إنه جمع حساب، كما الشهبان: جمع شهاب.

واختلف أهل العربية فيما رفع به الشمس والقمر، فقال بعضهم: رفعاً بحسبان: أي بحساب، وأضمر الخبر، وقال: وأظنّ والله أعلم أنه قال: يجريان بحساب وقال بعض من أنكر هذا

القول منهم: هذا غلط، بحسبان يرافع الشمس والقمر: أي هما بحساب، قال: والبيان يأتي على هذا: علّمه البيان أن الشمس والقمر بحسبان قال: فلا يحذف الفعل ويُضمَر إلا شاذًا في الكلام.

الآية : 6-9

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾¹.

اختلف أهل التأويل في معنى النجم في هذا الموضع مع إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق، فقال بعضهم: عني بالنجم في هذا الموضع من النبات: ما نجم من الأرض، مما ينبسط عليها، ولم يكن على ساق مثل البقل ونحوه. ذكر من قال ذلك:

-حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: والنَّجْمُ قال: ما يُبْسَطُ على الأرض.

-حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: والنَّجْمُ قال: النجم كلّ شيء ذهب مع الأرض فرشا، قال: والعرب تسمي الثيل نجما.

-حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: حدثنا رَوَاد بن الجراح، عن شريك، عن السدي ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال: النجم: نبات الأرض.

-حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان والنَّجْمُ قال: النجم: الذي ليس له ساق.

وقال آخرون: عني بالنجم في هذا الموضع: نجم السماء. ذكر من قال ذلك:

-حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَالنَّجْمُ قال: نجم السماء.

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَالنَّجْمُ﴾ يعني: نجم السماء.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ قال: إنما يريد النجم.

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، نحوه.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِيَ بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك: ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره. وأما قوله: وَالشَّجَرُ فَإِنَّ الشَّجَرُ مَا قَدْ وَصَفَتْ صِفَتَهُ قَبْلَ. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

-حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ قال: الشجر: كل شيء قام على ساق.

-حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿وَالشَّجَرُ﴾ قال: الشجر: كل شيء قام على ساق.

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: وَالشَّجَرُ قال: الشجر: شجر الأرض.

-حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ قال: الشجر الذي له سُوق.

وأما قوله يَسْجُدَانِ فإنه عُنِي به سجود ظلّهما، كما قال جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾.

- كما حدثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا تميم بن عبد المؤمن، عن زبرقان، عن أبي رزين وسعيد والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ قالوا: ظلّهما سجودهما.

-حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن مروان، قال: حدثنا أبو العوام، عن قتادة والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿مَا نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا عَبْدَهُ لَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا.

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، وهو قول قتادة.

-حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ قال: يسجد بكرة وعشيا. وقيل والنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ فتى وهو خبر عن جمعين.

وقد زعم الفراء أنّ العرب إذا جمعت الجمع من غير الناس مثل السدر والنخل، جعلوا فعلهما واحدا، فيقولون الشاء والنعم قد أقبل، والنخل والسدر قد ارتوى، قال: وهذا أكثر كلامهم، وتثنيته جائزة.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا فَوْقَ الْأَرْضِ﴾.

وقوله: ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ يقول: ووضع العدل بين خلقه في الأرض. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله «وَوَضَعَ الْمِيزَانَ» والخفض والوضع: متقاربا المعنى في كلام العرب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

-حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: وَوَضَعَ الْمِيزَانَ قال: العدل.

وقوله: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ يقول تعالى ذكره: أَلَّا تَظْلَمُوا وَتَبْخَسُوا فِي الْوِزْنِ. كما:

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحب أن يُوفى لك، فإن بالعدل صلاح الناس.

وكان ابن عباس يقول: يا معشر المَوَالِي، إنكم قد وليتم أمرين، بهما هلك من كان قبلكم، هذا المكيال والميزان.

-حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: حدثنا مروان بن معاوية، عن مغيرة، عن مسلم، عن أبي المغيرة، قال: سمعت ابن عباس يقول في سوق المدينة: يا معشر الموالِي، إنكم قد بُليتُم بأمرين أهلك فيهما أمتان من الأمم: المكيال، والميزان.

-قال: ثنا مروان، عن مغيرة، قال: رأى ابن عباس رجلاً يزن قد أرجح، فقال: أقم اللسان، أقم اللسان، أليس قد قال الله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾.

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ يقول: وأقيموا لسان الميزان بالعدل.

وقوله: ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ يقول تعالى ذكره: وَلَا تَنْقُصُوا الْوِزْنَ إِذَا وَزَنْتُمْ لِلنَّاسِ وَتَظْلَمُوهُمْ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

-حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن مروان، قال: حدثنا أبو العوام، عن قتادة والسَّامَاءِ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ قال قتادة قال ابن عباس: يا معشر الموالِي إنكم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم، اتقى الله رجل

عند ميزانه، اتقى الله رجل عند مكياله، فإنما يعدله شيء يسير، ولا ينقصه ذلك، بل يزيده الله إن شاء الله.

-حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ قال: نقصه، إذا نقصه فقد خسره تخسيره نقصه.

الآية : 10-12

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْامِ * فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾.

يقول تعالى ذكره: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْامِ وَالْأَرْضَ وَطَّأَهَا وَهُمْ الْأَنْامُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

-حدثنا عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: لِلْأَنْامِ يَقُولُ: للخلق.

-حدثني محمد بن سعد، ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْامِ قال: كلّ شيء فيه الروح.

-حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عُلَيَّة، قال: أخبرنا أبو رجاء، عن الحسن، في قوله: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْامِ قال: للخلق الجنّ والإنس.

-حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: لِلْأَنْامِ قال: للخلائق.

-حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة لِلْأَنْامِ قال: للخلق.

-حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ قال: الأنام: الخلق.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن مروان، قال: حدثنا أبو العوام، عن قتادة والأرض وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ قال: للخلق.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، مثله.

وقوله: ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴾ يقول تعالى ذكره: في الأرض فاكهة، والهاء والألف فيها من ذكر الأرض. وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْأَكْمَامُ: جمع كمّ، وهو ما تكملت فيه. واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: عنى بذلك تكم النخل في الليف. ذكر من قال ذلك:

-حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن، عن قوله: وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ فقال: سَعَفَةٌ من ليف عُصِبَتْ بها.

-حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة والحسن ذَاتُ الْأَكْمَامِ أكامها: ليفها.

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ: الليف الذي يكون عليها.

وقال آخرون: يعني بالأكام: الرّقات. ذكر من قال ذلك:

-حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن مروان، قال: حدثنا أبو العوام، عن قتادة وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ قال: أكامها رُفاتها.

وقال آخرون: بل معنى الكلام: والنخل ذات الطلع المتكّم في كمامه. ذكر من قال ذلك:

-حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: وَالتَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وقيل له: هو الطلع، قال: نعم، وهو في كم منه حتى ينفق عنه قال: والحبّ أيضا في أكمّام. وقرأ وما تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وصف النخل بأنها ذات أكمّام، وهي متكّمة في ليفها، وطلعها متكّم في جُفّه، ولم يخص الله الخبر عنها بتكّمها في ليفها ولا تكّم طلعها في جفه، بل عمّ الخبر عنها بأنها ذات أكمّام.

والصواب أن يقال: عني بذلك دان ليف، وهي به مُتَكَمِّمة وذات طَلْع هو في جُفّه مُتَكَمِّم فيُعَمِّم، كما عمّ جلّ ثناؤه.

وقوله: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وفيها الحبّ، وهو حبّ البرّ والشعير ذو الورق، والتبن: هو العَصْف، وإياه عنى علقمة بن عبّدة:

تَسْقِي مَدَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا حُدُورَهَا مِنْ أَتَى الْمَاءِ مَطْمُومٌ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

-حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ يَقُولُ: التبن.

-حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ قال: العصف: ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه فهو يسمى العصف إذا يبس.

-حدثنا ابن حمّيد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد والحبّ ذُو الْعَصْفِ البقل من الزرع.

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وعصفه تبنة.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، قال: العصف: التبن.

-حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهرا، عن سفيان، عن الضحاك والحبّ ذو العصف قال: الحبّ البرّ والشعير، والعصف: التبن.

-حدثنا سعيد بن يحيى، قال: حدثنا عبد الله بن المبارك الخراساني، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي مالك قوله: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ والرّيحان قال: الحبّ أول ما ينبت.

-حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا روقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ والرّيحان قال: العصف: الورق من كل شيء. قال: يقال للزرع إذا قُطِع: عصافة، وكلّ ورق فهو عصافة.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثني يونس بن محمد، قال: حدثنا عبد الواحد، قال: حدثنا أبو روق عطية بن الحارث، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ قال: العصف: التبن.

-حدثنا سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس ذُو الْعَصْفِ قال: العصف: الزرع.

وقال بعضهم: العصف: هو الحبّ من البرّ والشعير بعينه. ذكر من قال ذلك:

-حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ والرّيحان أما العصف: فهو البرّ والشعير.

وأما قوله: وَالرَّيْحَانُ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ الرِّزْقُ. ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ:

-حدثني زيد بن أحمز الطائي، قال: حدثنا عامر بن مدرك، قال: حدثنا عتبة بن يقطان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كلَّ ريحان في القرآن فهو رزق.

-حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد والريحان قال: الرزق.

-حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن الضحاك والريحان: الرزق، ومنهم من يقول: ريحاننا.

-حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: حدثنا محمد بن الصلت، قال: حدثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس والريحان قال: الريح.

-حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثني يونس بن محمد، قال: حدثنا عبد الواحد، قال: حدثنا أبو روق عطية بن الحارث، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالرَّيْحَانُ قال: الرزق والطعام.

وقال آخرون: هو الريحان الذي يشمّ. ذكر من قال ذلك:

-حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: الريحان ما تنبت الأرض من الريحان.

-حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَالرَّيْحَانُ أما الريحان: فما أنبتت الأرض من ريحان.

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن والريحان قال: ريحانكم هذا.

-حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: والريحان: الرياحين التي توجد ريحها.

وقال آخرون: هو خُصرة الزرع. ذكر من قال ذلك:

-حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: والريحان يقول: خُصرة الزرع.

وقال آخرون: هو ما قام على ساق. ذكر من قال ذلك:

-حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: الريحان ما قام على ساق.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني به الرزق، وهو الحبّ الذي يؤكل منه.

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الله جلّ ثناؤه أخبر عن الحبّ أنه ذو العصف، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه، والتبن إذا يبس، فالذي هو أولى بالريحان، أن يكون حبه الحادث منه، إذ كان من جنس الشيء الذي منه العصف، ومسموع من العرب تقول: خرجنا نطلب ريحان الله ورزقه، ويقال: سبحانك وريحانك: أي ورزقك، ومنه قول النمر بن تَوَلَب:

سَلَامُ الْإِلَهِ وَرِيحَانُهُ وَجَنَّتُهُ وَسَمَاءُ دِرْرُ

وذكر عن بعضهم أنه كان يقول: العصف: المأكول من الحبّ والريحان: الصحيح الذي لم يؤكل.

واختلفت القراء في قراءة قوله: وَالرِّيحَانُ فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين وبعض الكوفيين بالرفع عطفاً به على الحبّ، بمعنى: وفيها الحبّ ذو العصف، وفيها الريحان أيضاً. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين «وَالرِّيحَانُ» بالخفض عطفاً به على العصف، بمعنى: والحبّ ذو العصف وذو الريحان.

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأه بالخفض للعلة التي بينت في تأويله، وأنه بمعنى الرزق. وأما الذين قرأوه رفعا، فإنهم وجَّهوا تأويله فيما أرى إلى أنه الريحان الذي يشمّ، فلذلك اختاروا الرفع فيه وكونه خفضا بمعنى: وفيها الحبّ ذو الورق والتبن، وذو الرزق المطعوم أولى وأحسن لما قد بيّناه قبل.

الآية : 13-16

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ: فَبِأَيِّ نِعَمٍ رَّبَّكُمَا معشر الجنّ والإنس من هذه النعم تكذبان. كما:

-حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن، قال: حدثنا سهل السراج، عن الحسن فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَبِأَيِّ نعمة ربكما تكذبان.

-قال عبد الرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ قال: لا بآيتها يا ربّ.

-حدثنا محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك النضري، قالوا: حدثنا يحيى بن سليمان الطائفي، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن، أو قرئت عنده، فقال: «مَا لِي أَسْمَعُ الْجَنِّ أَحْسَنَ جَوَابًا لِّرَبِّهَا

مِنْكُمْ؟» قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «مَا أُتَيْتُ عَلَى قَوْلِ اللَّهِ: فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ إِلَّا قَالَتِ الْجِنَّ»: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّنَا نُكَذِّبُ.

-حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول: فبأيّ نعمة الله تكذبان.

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة فبأيّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يقول للجنّ والإنس: بأيّ نعم الله تكذبان.

حدثنا ابن حمّيد، قال: حدثنا مهراّن، عن سفيان، عن الأعمش وغيره، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه كان إذا قرأ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال: لا بآيتها ربنا.

-حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قال: الآلاء: القدرة، فبأيّ آلائه تكذب خلقكم كذا وكذا، فبأيّ قدرة الله تكذبان أيها النّقلان، الجنّ والإنس.

فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فخطب اثنين، وإنما ذكر في أوّل الكلام واحد، وهو الإنسان؟ قيل: عاد بالخطاب في قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلى الإنسان والجانّ، ويدلّ على أن ذلك كذلك ما بعد هذا من الكلام، وهو قوله: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ. وقد قيل: إنما جعل الكلام خطابا لاثنتين، وقد ابتدئ الخبر عن واحد، لما قد جرى من فعل العرب، تفعل ذلك وهو أن يخاطبوا الواحد بفعل الاثنتين، فيقولون: خلياها يا غلام، وما أشبه ذلك مما قد بيّناه من كتابنا هذا في غير موضع.

وقوله: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ يقول تعالى ذكره: خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من ييسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار يعني أنه من ييسه وإن لم يكن مطبوخا، كالذي قد طبّخ بالنار، فهو يصلصل كما

يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طُبَخ من الطين بالنار. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

-حدثني عبيد الله بن يوسف الجبيري، قال: حدثنا محمد بن كثير، قال: حدثنا مسلم، يعني الملائّي، عن مجاهد، عن ابن عباس، قوله: مِنْ صَلَّالٍ كَالْفَخَّارِ قال: هو من الطين الذي إذا مطرت السماء فيبست الأرض كأنه خرف رقاق.

-حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: خلق الله آدم من طين لازب، واللازب: اللزج الطيب من بعد حمأ مسنون مُتَن. قال: وإنما كان حمأً مسنونا بعد التراب، قال: فخلق منه آدم بيده، قال: فمكث أربعين ليلة جسدا مَلَقَى، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله، فيصلصل فيصوّت، قال: فهو قول الله تعالى: كَالْفَخَّارِ يقول: كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت.

-حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن سعيد وعبد الرحمن، قالوا: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبّير، عن ابن عباس قال: الصلصال: التراب المدقق.

حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: الصلصال: التراب المدقق.

حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلَّالٍ كَالْفَخَّارِ يقول: الطين اليابس.

-حدثنا هناد، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: مِنْ صَلَّالٍ كَالْفَخَّارِ قال: الصلصال: طين خُلط برمل فكان كالفخار.

-حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: مِنْ صَلَّالٍ

كَالْفَخَّارِ وَالصَّلْصَالِ: التراب اليابس الذي يُسمع له صلصلة فهو كالْفَخَّارِ، كما قال الله عزَّ وجلَّ.

-حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ قال: من طين له صلصلة كان يابسا، ثم خلق الإنسان منه.

-حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ قال: ييس آدم في الطين في الجنة، حتى صار كالصلصال، وهو الفخار، والحمأ المسنون: المنتن الريح.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن مروان، قال: حدثنا أبو العوام، عن قتادة خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ قال: من تراب يابس له صلصلة.

-قال: ثنا أبو عاصم، قال: حدثنا شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ قال: ما عُصِرَ، فخرج من بين الأصابع، ولو وجَّه موجَّه قوله: صلصال إلى أنه فعلا من قولهم صلَّ اللحم: إذا أنتن وتغيرت ريحه، كما قيل من صرَّ الباب صرصر، وكبكب من كبَّ، كان وجهها ومذهبها.

وقوله: وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ يقول تعالى ذكره: وخلق الجانَّ من مارج من نار، وهو ما اختلط ببعضه ببعض، من بين أحمر وأصفر وأخضر، من قولهم: مَرَجَ أمر القوم: إذا اختلط، ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو: «كَيْفَ بِكَ إِذَا كُنْتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَتُهُمْ» وَذَلِكَ هُوَ لَهَبُ النَّارِ وَلِسَانُهُ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

-حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيري أبو حفص، قال: حدثنا محمد بن كثير، قال: حدثنا مسلم، عن مجاهد، عن ابن عباس، في قوله: مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ قال: من أوسطها وأحسنها.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ يَقُولُ: خلقه من لهب النار من أحسن النار.

حدثني عليّ، قال: حدثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ يَقُولُ: خالص النار.

-حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك عن ابن عباس، قال: خلقت الجنّ الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهمت.

-حدثنا هناد، قال: حدثنا أبو الأحوص، عن سماك، عن عكرمة، في قوله: مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ قال: من أحسن النار.

-حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ قال: اللهب الأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت.

وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله، إلا أنه قال: والأحمر.

-حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا مهران، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ قال: هو اللهب المنقطع الأحمر.

-قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن الضحاك، في قوله: وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ قال: أحسن النار.

-حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ قال: من لهب النار.

-حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ: أي من لهب النار.

-حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن ثور، عن معمر، عن الحسن، في قوله: مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ قال: من لهب النار.

-حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ قال: المارج: اللهب.

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن مروان، قال: حدثنا أبو العوام، عن قتادة وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ قال: من لهب من نار.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يقول تعالى ذكره فبأيّ نعمة ربكما معشر الثقلين من هذه النعم تكذبان؟.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

	شكر
	إهداء
أ،ب،ج	مقدمة
الصفحة	الجانب النظري
01	مدخل عام
الفصل الأول: الإعجاز البياني في القرآن	
04	أولاً/ الإعجاز القرآني
04	نبذة تاريخية عن الإعجاز
14	تعريف الإعجاز
23	شروط المعجزة
24	وجوه الإعجاز
30	ثانياً: البيان.
30	نبذة تاريخية عن البيان.
38	تعريف البيان
43	حقيقة البيان.
46	أنواع البيان
58	طرق ووسائل الإعجاز البياني
الجانب التطبيقي	
الفصل الثاني: سورة الرحمن أنموذجاً	
84	أولاً: التعريف بسورة الرحمن.
84	بين يدي السورة
85	تسمية سورة الرحمن
86	تصنيف سورة الرحمن
87	ترتيب سورة الرحمن في التلاوة والنزول
88	مناسبة السورة لما قبلها وبعدها

90	السياق في سورة الرحمن
92	مطلع السورة وأثاره على المتلقي
92	علاقة التناسب بين المطلع والإختتام
93	ثانياً: أدوات التفسير البياني في سورة الرحمن
93	التكرار
105	التصوير الفني في سورة الرحمن
109	التقديم والتأخير
114	الذكر والحذف
117	خاتمة
119	فهرس الأيات
123	الملحق
	فهرس المحتويات
	قائمة المصادر والمراجع
	الملخص

قائمة

المصادر المرجعية

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا/المصادر:

1. ابن منظور, لسان العرب, دار اللسان العربي, بيروت, الجزء 2.
2. ابن فارس, معجم مقاييس اللغة, تحقيق عبد السلام هارون, مطبعة مصطفى البابي الحلبي, ط2, 1969م.
3. ابن تيمية, الإكليل في المتشابه والتأويل, دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع .
4. ابن عقيلة, الزيادة والإحسان في علوم القرآن, جامعة الشارقة, الإمارات, ط1, 2006م, ج6.
5. ابن منظور, لسان العرب, مج11-12, دار صادر, لبنان, ط4, 2005, مادة فصل.
6. ابي جعفر محمد بن جرير الطبري, تفسير الطبري, جامع البيان عن تأويل القرآن, هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان, القاهرة, ط1, 2001م.
7. ابو عبد الله القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, مج1.
8. ابن كثير, تفسير القرآن العظيم, مؤسسة الكتب الثقافية, بيروت, ط1, 1998.
9. الراغب الأصفهاني, معجم مفردات القرآن .
10. الجوهري, الصحاح, دار الحضارة العربية, بيروت, الجزء 2.
11. الرازي, تفسير الكبير, دار احياء التراث العربي, بيروت, ط3, ج29.
12. الجاحظ ابو عثمان عمر بن بحر, البيان والتبيين, تحقيق المحامي فوزي عطوي, دار صعب, بيروت, ط1, 1968, ج1.
13. البخاري, ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن المغيرة, الجامع الصحيح, دار الشعب, القاهرة, ج7.

-
14. الجرجاني الشریف، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
15. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر، بيروت، ط3، 1980، ج1.
16. الزمخشري، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
17. الجوهري، الصحاح، مادة فصل، دار المعرفة، لبنان، ط3، 2008.
18. الزبيدي محمد بن مرتضى، تاج العروس، المطبعة الخيرية، مصر، ط1، 1985.
19. الزمخشري، الكشاف، تح: الشيخ عادل احمد عبد الموجود والشيخ: علي محمد معوض، مكتبة العبيكة، ط1، 1998، ج6.
20. البخاري، فتح البيان في مقاصد القرآن، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ج13.
21. النيسابوري، القرآن الكريم، وبهامشه مختصر تفسير الطبري، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 1421هـ.
22. الزمخشري، الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 2003، ج4.
23. القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وادابه.
24. الزبيدي، محمد بن مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، ج34.
25. الألوسي، روح المعاني، دار الفكر، بيروت، 1978.
26. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: احمد بن علي، دار الحديث، 2004، ج4.
27. ضياء الدين ابن الأثير، نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: احمد الحوفي و بدوي طبانة، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج1.
28. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، دار الفكر، دمشق، ط41، 2007.

29. يوسف بن ابي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي، مفتاح العلوم، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ج1.

ثانياً/المراجع:

30. أمير عبد العزيز، دراسات في علوم القرآن، دار الشهاب، الجزائر، ط2، 1988.
31. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
32. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، ج1.
33. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج2.
34. أيمن أمين عبد الغني الكافي في البلاغة، دار التوثيق للتراث، القاهرة.
35. الخطابي أبو سليمان، حمد بن ابراهيم، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر.
36. الرماني أبو الحسن بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق وتعليق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط2، 1961.
37. الباقلاني، إعجاز القرآن، علق عليه وأخرج أحاديثه أبو عبد الله صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
38. الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1984، ج1.
39. الكرمانى، البرهان في متشابه القرآن، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1991.
40. الكرمانى، أسرار التكرار، تح: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.
41. الشوكاني، فتح القدير، مراجعة يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2007.

-
42. البقاعي, مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور, تح: د-عبد السميع أحمد محمد حسنين, مكتبة المعارف, الرياض, ط1, 1987, ج1.
43. الغرناطي, أحمد بن الزبير, ملاك التأويل القاطع بذي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التتزيل, دار المغرب الإسلامي, ط1, 1983.
44. الطاهر بن عاشور, تفسير التحرير والتنوير, الدار التونسية للنشر, تونس, 1984, ج27.
45. تمام حسان, البيان في روائع القرآن, دراسة لغوية وأسلوبية, عالم الكتب, القاهرة, ط2, 1993.
46. حسن نصار, إعجاز القرآن, مكتبة مصر, القاهرة, ط1, 1999.
47. حسين عبد الرزاق, البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدیع, المكتبة الأزهرية للتراث, 2006.
48. زين الدين محمد فيض, القدير شرح الجامع الصغير, المكتبة التجارية الكبرى, مصر, ط1, ج2.
49. سيد قطب, في ظلال القرآن, دار الشروق, القاهرة, ط15, 1988, ج6.
50. سيد قطب, في ظلال القرآن, بيروت, لبنان, ط1.
51. سيد قطب, مشاهد يوم القيامة, دار الشروق, القاهرة, ط14, 2002.
52. سيد قطب, في ظلال القرآن, دار الشروق, القاهرة, ط17, 1412هـ.
53. سيد قطب, التصوير الفني في القرآن, دار الشروق, القاهرة, ط16, 2002.
54. شكر محمود عبد الله, الفصل والوصل في القرآن الكريم, دار حلة, الأردن, ط1, 2009.
55. صبحي إبراهيم الفقهري, علم اللغة النص بين النظرية والتطبيق, دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع, عبده غريب, مصر, القاهرة, 2000.
56. طه حسين, مرآة الإسلام, دار العلم للملايين, بيروت, ط4, ج2.

-
57. عشارتي سليمان، النورسي في رحاب القرآن، سوزار للنشر والتوزيع، مصر، 1999.
58. عمار الساسي، الإعجاز البياني في القرآن، دراسة نظرية للإعجاز البياني في الآيات المحكمات، دار المعارف للإنتاج والتوزيع، بوفاريك، البليدة، ط1، 2003.
59. عبد الرحمن حبكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، بيروت، ط2، 1979.
60. عبد القاهر البغدادي، أصول الدين، ط1، مطبعة الدولة، 1928.
61. عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، شركة الشهاب، الجزائر، 1988.
62. عمر السلمي، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1980.
63. عبد العزيز عتيق، علم البيان في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
64. عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000.
65. عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، دراسة لغوية وقرآنية وبيانية ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، القاهرة، ط3.
66. عبد الكريم الخطيب، الإعجاز في دراسة السابقين، دار الفكر العربي، المغرب، 1974.
67. عبد العزيز عتيق، فن البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، لبنان.
68. عبد المالك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن.
69. عائشة عبد الرحمن، القرآن وقضايا الإنسان، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1978.
70. عبد الفتاح لاشين، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، 1982.

-
71. عبد الفتاح لاشين, صفاء الكلمة, دار المريخ, الرياض, 1982.
72. فضل عباس, القصص القرآني, ابحاؤه ونفحاته, دار الفرقان, عمان, ط1, 1987.
73. فهد ناصر عاشور, التكرار في شعر محمود درويش, دار فارس للنشر, الأردن, ط1, 2004.
74. فاضل صالح السامرائي, التعبير القرآني, دار عمار, عمان, ط5, 2007.
75. مصطفى صادق الرافعي, إعجاز القرآن والبلاغة النبوية, دار الفكر العربي, القاهرة, ط8, 1990.
76. مصطفى أبو شوارب ومحمود المصري, أثر المتكلمين في تطور الدرس البلاغي, دار الوفاء للطباعة, القاهرة, ط1, 2006.
77. مصطفى صادق الرافعي, إعجاز القرآن والبلاغة النبوية, دار الكتاب العربي, لبنان, ط9, 1973.
78. مصطفى صادق الرافعي, تاريخ أداب العرب, ج1.
79. محمد فؤاد عبد الباقي, المعجم المفهرس لألفاظ القرآن, دار الفكر, ط3.
80. محمد عبد الله دراز, النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن, دار القلم, الكويت, 1984.
81. محمد رفعت أحمد زنجير, مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم, طبع على نفقته عبد الله أحمد المؤنس, ط1, 2007.
82. محمد علي الصابوني, البيان في علوم القرآن, دار الشهاب.
83. مناع القطان, مباحث في علوم القرآن, مكتبة وهبة, القاهرة, ط7, 1999.
84. معجم اللغة العربية, المعجم الوسيط, مادة بين, شركة الإعلانات الشرقية, ط3, 1985.
85. محمد الأمين بن محمد بن مختار الحنكي الشنقيطي, أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن, دار علم الفوائد للنشر والتوزيع, ج1.

86. محمد علي الصامل، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، ط1، 2001.

87. محمد صالح الصديق، البيان في علوم القرآن، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1986.

88. محمد السيد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1983.

89. محمد مهدي قشلان، تفسير وبيان لسورة الرحمن بما فتح ويسر المنان، 2019.

90. نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر، مؤسسة الرسالة، ط2، 1980.

91. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، ط10، 2003.

92. يسوبة أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991، ج4.

ثالثا/المجلات والمذكرات:

93. إسماعيل وعمران فيتور، قراءة جديدة لنظام التكرار في البناء الصوتي للإعجاز القرآني، دار زهران للنشر والتوزيع، ط1، 1987.

94. بولعشار مرسلي، بحث لنيل شهادة الماجستير، الإعجاز البياني في الطراز، جامعة وهران 2006/2007.

95. تونسلي حورية وكودري أحلام، مذكرة بعنوان ظاهرة الحذف وغرضها البلاغي في اللغة العربية نماذج من القرآن الكريم، مقدمة لنيل شهادة ليسانس، جامعة أكلي محند أولجاج، البويرة، 2012/2013.

96. جيلالي أمينة حورية، الإعجاز البلاغي في آيات الخوف والرجاء، مذكرة تخرج ماستر، جامعة وهران، 2013/2014.

-
97. سامية مؤنس خليل أوسعيقان, عوارض التركيب في سورة البقرة, دراسة نحوية وصفية, مذكرة ماجستير, الجامعة الإسلامية, غزة, 2002.
98. سامي محمد حريز, نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم, نظريا وتطبيقيا, ماجستير أصول الدين, الجامعة الأردنية, 2006.
99. موسى مسلم الحشاش, الإعجاز البياني في الفاصلة القرآنية, الجامعة الإسلامية, غزة, 2007.
100. عاشور عبيد, مذكرة بعنوان الحذف في القرآن الكريم, دراسة نحوية بلاغية, سورة البقرة-أنموذجا-, مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير, جامعة المسيلة, 2015/2016.
101. عامر عمران علوان الخفاجي, كلية العلوم الإسلامية, قسم علوم القرآن, شبكة جامعة بابل, الرابط:-[vobabyloneduiq/eprints/publication12-23552](http://www.vobabyloneduiq/eprints/publication12-23552)
- 81pdf.http://www
102. مقال للدكتور: محمد سعيد محفوظ, قراءات نقدية في ماهية بلاغة الذكر والحذف, صحيفة المثقف, العدد: الأربعاء 21, المصادق: 2021-04-5342, من الانترنت.
103. شبكة الألوكة, مقال بعنوان: الذكر والحذف في البلاغة, 20-10-2015م, محمد بن صالح العثيمين, تح: الأستاذ أشرف بن يوسف: جزء من مقال.
104. زاد الميسر: 5-461-من الانترنت-.

ملخص الدراسة :

إنّ دراستنا هذه جاءت لتبيّن الإعجاز القرآني في القرآن الكريم وجمال أسلوبه وإيحائه ونفحاته وكلماته العذبة التي لا تحتل التغيير ولا التبديل. وقد ركّزنا على الإعجاز البياني وبيّنا أدواته وأساليبه من تشابه لفظي وتكرار وفصل ووصل وتقديم وتأخير وذكر وحذف وتصوير فني .

وحاولنا جاهدين إسقاط هذه الأدوات على عروس القرآن -الرحمن- فلاحظنا الإبداع الباهر والجميل والذي جعل السورة متمثلة أمامنا وكأن المشاهد متحركة ومتجسدة بفضل ذلك التصوير الفني الرائع .

وقد دلّت بلاغة هذه السورة الكريمة على إعجاز القرآن اللّغوي وسر بقاء اللغة العربيّة شامخة، ولهذا وجب على الأمة الإسلاميّة تعلم القرآن وتعليمه ومعرفة أسرار بيانه وهذا من أجل تقوية ملكتنا الذوقية والمعرفيّة والوجدانية لفهم كتاب الله عزّ وجل .

Study summary

Our study came to show the Qur'an miracle in the Holy Qur'an, the beauty of its style, its inspiration, its whiffs and its sweet words that cannot be changed or altered. We focused on the rhetorical miracle and explained its tools and methods such as verbal similarity, repetition, separating, connecting, presenting, delaying, mentioning, omitting, and artistic representation.

We tried hard to drop these tools on the bride of the Qur'an – the Most Gracious – and we noticed the brilliant and beautiful creativity

that made the surah represented before us as if the scenes were animated and embodied thanks to that wonderful artistic depiction.

The eloquence of this noble surah indicates the linguistic miraculousness of the Qur'an and the secret of keeping the Arabic language lofty. For this reason, the Islamic nation must learn the Qur'an, teach it, and know the secrets of its statement, and this is in order to strengthen our taste, knowledge and sentimental faculty to understand the Book of God Almighty.